دراسات إسلامية

بين الشيوعية والإسلام

بقلم

محمود النواوي و محمد عبد المنعم خفاجي

بين الشيوعية والإسلام

تأليف

محمود النواوى و محمد عبد المنعم خفاجى

شيخ معهد منوف الدينى
بالأزهر الشريف

الأستاذ بكلية اللغة العربية
بالأزهر الشريف

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح — تليفون : ٩٠٨٥٢

بين الشيوعية والإسلام

هذا الكتاب الجديد الذى كتبناه لنوازن فيه بين الشيوعية والإسلام وواجب الشباب حيال الوطن العربى ، ووجوب إيمانهم بالدعوة الجديدة ، دعوة القومية العربية التى تجمع العرب جميعا على الحب والإخاء والوحدة .

قد رأينا أن نصدره بهذه الحكمة الغالية والكلمة الصافية التى كتبها السيد الرئيس وصدر بها كتاب «حقيقة الشيوعية» الذى ظهر فى سلسلة اخترنا لك .

ومن الواجب علينا فى هذه الظروف الراهنة أن ندعو إلى القومية العربية وإلى الالتفاف حول بطلها المفدى « جمال عبد الناصر » .

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

المؤلفان

فاتحة الكتاب

لا يمكن لباحث منصف أن يوازن بين مبادىء الإسلام والشيوعية ، بين شريعة إلهية ونظم وضعية ، بين إصلاح خالص وثورة متطرفة ، بين دين روحه السلام والإخاء والحرية والتعاون الإنسانى لخير البشرية والحضارة، ومذهب يؤمن بالطغيان وصراع الطبقات والإلحاد والمادية ، ويثير الاضطراب فى الحياة ويعزل معتنقيه عن الشعوب المحبة للحرية والسلام .

ومع ذلك فسنحاول البحث والموازنة ، وشرح موقف الإسلام من هذه المبادىء الوافدة ، وبيان رأيه فى جميع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، ونفصل منهجه فى الإصلاح ، ومايدعو إليه من اشتراكية عادلة ، وديمقراطية حقة ، ومساواة لاحيف فيها ، وإيمان بحقوق الإنسان وحماية لها .

ولا شك أن مبادىء الشيوعية معروفة ، ومصادرها كثيرة متعددة ، وأن محاربة النشاط الشيوعى فى العالم الحر لا يعنى الجهل بهذه المبادىء أو التزوير عليها .
ومن البدهى أننا هنا حين نتحدث عن الإسلام ننظر إلى مبادئه نفسها ، بصرف النظر عن مدى تطبيقها اليوم فى العالم الإسلامى .

وعلى هدى هذا المنهج نسير الآن فى البحث والموازنة .

مقـــدمة

— ١ —

كان عبد الله بن المقفع رجلا عالما حكيما ، وأديبا بارعا ، وكان من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، ثم كان على دين المجوسية دين الفرس الذين ينتسب إليهم، فلما كانت الدولة العباسية وأراد أن يدخل فى الاسلام الذى هو دين الدولة، اتفق مع عم الخليفة على يوم يعلن فيه إسلامه ، وفى الليلة التى يليها ذلك اليوم قدم إليه العشاء مع عم الخليفة فى قصره فلما قدم العشاء أخذ يزمزم أثناء الطعام على ما جرت به طقوس المجوس، فقال له عم الخليفة: ألست على نية الإسلام ؟ قال: بلى . ولكننى كرهت أن أبيت على غير دين .

وقد يكون لابن المقفع عذره قبل أن تخالط بشاشة الإسلام قلبه إذا بقى على مجوسيته ، فإن للعقائد أثرها وقوتها فى نفوس أصحابه ،وهذا مما يزيد المتدين تماسكا وقوة شخصية واعتدادا به ، يعتز وينتصر فى كثير من مواقف الاحتراب والتدافع، قد يكون لابن المقفع عذره إذا أصر على مجوسيته حتى يدخل فى الإسلام ثم يدخل الإيمان قلبه ، ولكن موضع الاستشهاد بتلك القصة قول ابن المقفع : « كرهت أن أبيت على غير دين» ، فذلك قول له دلالته وقد صدر من رجل حكيم عالم وفيلسوف باحث على أن التدين ضرورة لاغنى عنها للبشر ، وأن التمسك بطقوس الدين مهما يكن أكرم لصاحبه من التحلل والاباحية مهما تكن ، وهو معنى سليم صادق. فان التحلل من الأديان والإباحية العاشلة مهما حاول دعاتها أن يدافعوا عن وصماتها ، إن هو إلا تنازل عن معنى الانسانية التى كرم بها الانسان وميزه عن الحيوان فكلفه ووجهه ، وجعله خليفته ، وسخر له الكائنات ، من حيوان ونبات وجماد فالانسان مهما تكن درجته لايكون إنسانا إلا بعقل ودين : أما العقل فانه يتصرف به وينظم به شئون خلافته . والأديان لطف من خالق الانسان تحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وتخرج الناس من مضايق المشكلات ، ومزالج الشبهات. وذلك أن العقلاء يختلفون فى وجهات النظر، وتقصر أفكارهم أحيانا حتى يتناقضوا .. وأحيانا يناقض الواحد نفسه فى حالين مختلفتين.. وهناك أمور تقصر عنها مداركهم ولا تهتدى

إليهم عقولهم ، وقد يتخبطون فى إدراكها مهما طال عليهم الأمد وهم يبحثون ويفحصون . ولقد صدق الله سبحانه إذ يقول : «لله الأمر من قبل ومن بعد» ، إلى أن يقول» ولكن أكثر الناس لايعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

— ٢ —

إن العقل مهما تكامل فهو متفاوت النظر قصير الإدراك فى جانب علم الله الذى « لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلافى كتاب مبين »،وقال اللهسبحانه :« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »،فكان من لطفه وإحسانه أن أرسل الرسل معلمين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وكان من لطفه وإحسانه أن أرسل إليهم الرسل بما يلزم معرفته والايمان به من علوم السموات والأرض منظمين لحياة الناس فى أسرهم وفى مجتمعهم وفى علاقاتهم كل أمة مع غيرها من الأمم حتى يعيشوا إخوانا متحابين ، ودلوهم على طقوس من العبادة تربطهم بخالقهم ، حتى تعز نفوسهم ولا تنكس رؤوسهم لغير خالقهم، يعبدونه لايشركون به شيئا . ثم كانت هذه الطقوس هى التى تهذب نفوسهم حتى تحسن علاقات بعضهم ببعض ، وحتى لايتحاسدوا ولا يتباغضوا ويكونوا إخوانا متعاونين وإخوة متساندين وقد أرادت أن تلزم الناس فجعلت لكل إنسان جزاء على مايعمل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ، حتى يحاسب كل إنسان نفسه قبل أن يحاسب ، وحتى يخاف ربه ، ويشفق من دينه ، فلا يفعل إلا خيراً .. فإن نسى أمر ربه وانحرف عن سبيل طاعته وأساء يوما إلى نفسه أو إلى أخيه ، فإن أمره فى يسر بلا عنت ،وإن ربه رحيم به ، لايوصد دونه باب الاصلاح والاستصلاح ، فليعد إلى ربه وليستغفر من ذنبه والله غفور رحيم .

فمن أبى إلا أن يكون شريراً مفسداً أومعاندا مؤذيا فقدجعل له عقوبات فى الدنيا تزجره حتى لايعود ، وتزجر غيره حتى يصد نفسه عن الشر . كل هذا ليسود الوئام والحب . ولا يبغى بعض الناس على بعض ، وتتحقق الخلافة المنشودة . فما كانت مهمة الأديان إلا تعليم الناس وتوجيههم إلى الخير . وما كانت فضولا ولا إعناتا

للناس . وإنما الفضول والاعنات أن يترك الناس هملا وأن يخلقوا عبثا وأن يستوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسىء ، وأن يكون المسلم كالمجرم، والمسىء كالمحسن .

إن الاعنات ألا يفصل الله فى قضايا العباد ولا يجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

هذا هو الخلاف بين رجال الدين والمنتسبين إليه وبين غيرهم من دعاة الالحاد والزندقة ، الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن التدين بشبهة أنه يخالف المدنية ، « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » . وبالله لقد علموا لو كانوا يعلمون أن التدين لا ينافى المدنية الحق، فان المدنية الحق تقوم على نظام وتآلف ووطنية وصدق ووفاء وأمانة وقوة ودفاع وحرية ونظافة وعمل ونشاط ومعاملة دقيقة رقيقة وعدل وإحسان . وكل هذه هى مما يدعو إليه التدين بل تدور فى محوره . فليس يدخل فى مسمى التدين الصحيح رجل يشتمل على فوضى وإهمال ولا رجل يستهين بحقوق الآخرين ، فلا يرعى واجبهم . أو يفرط فى وطنه فلا يفتديه بأعز ما لديه من مال ونفس ، أو رجل غاش أو خائن يستهين بكرامته فى سبيل توزيع سلع فيحلف كاذبا ، أو يبيع شيئا باسم شىء سواه . أو رجل جلف غليظ يسىء إلى الآخرين أو يأكل حقوقهم أو أموالهم بالباطل) . فكل طمع فى حق الناس وكل أثرة وأنانية وكل معاملة غير مرضية ليست مما يمت إلى التدين فى شىء ، وقد جمع رسول الله ذلك كله فى كلمة واحدة « الدين المعاملة » .

أما إذا كانت المدنية هى الميوعة والخنوثة والعرى وقضاء حق الشهوات الحيوانية فى صور بهيمية ،فان الدين لا يرضى ذلك، لأنه يعلم ما فيه من وخيم العواقب وما يدعو إليه من العدوان والتنافس والسكر والعربدة ، وما يوقع فيه من الأنانية التى هى معاول التعاون ومصدر الشقاق .

فأنبئونا إذا ، ما عيب الأديان، وهى مصدر القوة وأساس التحرر ؟

وما عيبها وهى التى تأخذ صاحبها بالعزة ،وتجعل منه ملاكا كريما لا يرجو إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه ؟ تجعل منه إنسانا متماسكا يرجى خيره ويؤمن شره . لأن له ضميرا حيا يحمله على الخير ويحول بينه وبين الشر ، بخلاف الالحاد والزيغ الذى

يجعل صاحبه بلا قلب، يفزع كالصبي إذا أصابه شر فإن أصابه خير يتكبر على الناس ويسيء اليهم. يقنط أشد القنوط إذا أصابه شر ظنه ضربة لازب فآثر الموت على الحياة، والتمس سبيلا لمقاومتها والخروج منها . فهو محروم من نعمة الاطمئنان والرضا الذي يتمثل في المؤمن .. وهي خير مسعد له ومصلح لنفسه ومهدىء لأعصابه .

إن الإيمان بإله قادر عليم صانع حكيم مما دلت عليه الفطرة وهدى إليه العقل، فقالت به العامة والدهماء بمقتضى فطرهم وسذاجتهم ،كما قال به الحكماء والفلاسفة على مقتضى أدلتهم ومقدماتهم .. واستدل الأعرابي بالسماء وكواكبها والأرض ومسالكها على اللطيف الخبير .وكما استدل بالنور على النهار وبالخطوة على السير، وكما استدل الحكماء على وجود الله بترجيح الوجود على العدم وكل ترجيح لا بد له من مرجح ، والمرجح هو الله تعالى .

وهكذا يتفق جميع العقلاء إلا من اجتالتهم الشياطين على إله مدبر لهـذا الكون متصف بالكمال كله ومنزه عن النقص كله .

— ٣ —

ولكن أبى ذلك من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ؟ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون .

هؤلاء قوم لا تخلو الدنيا منهم ، ينبتون في مختلف العصور نباتا شيطانيا ليبرروا شهواتهم ، وينالوا أقصى متعهم ولذاتهم .

ولو أنصف هؤلاء المساكين لعلموا أن الإنسان محدود . وأن شهواته إذا أسرف فيها تسرع إليه بالموت . وأنها تخلف بعدها حسرات بما تأخذ من قوة المرء وصحته ومادته . وبما تعرضه له أحيانا من مشاحنات ومخاوف .

وقد نظمت الديانة ذلك كله نظاما دقيقا أمينا .. ولكن اسم التدين قد يزعج كثيرا من النفوس الفارغة والأفراد الفاشلة ، والتدين خير لهم إن كانوا يعلمون .

هؤلاء المساكين أعمتهم الشهوات فأرادوا أن يبرروها باسم إنكار الدين ونفي البعث والجزاء . ومقاومة الصدق والأمانة والوفاء .. قالوا : إن

ما جاءت به الأديان حديث خرافة فأعرضوا عن الكتب السماوية وما جاءت به رسل الله مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما .

هؤلاء قوم تسللوا من جماعة الإنسانية ليكونوا فى حظيرة الحيوانية . وصاروا يدعون الناس بالمغريات . ويزينون لهم الشهوات ولم يكونوا شجعانا فى دعوتهم ، ولكنهم نافقوا فانطبق عليهم بالدقة قول الله سبحانه فى كتابه الذى وصف به ضعفا اليهود الذين عارضوا دعوة الحق .

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ، إلى قوله سبحانه : « فى طغيانهم يعمهون » .

هؤلاء هم الذين أغرموا بتحويل دفات السفن فى الأمم التى يظهرون بها عن طريق الرقى والتقدم . وينحرفون بهم وببيئاتهم إلى التصدع التهدم ، ويحولون بينهم وبين كل مجد منشود ورفعة مرموقة .

والمجد ليس لعبا ولا شهوة ولا أكلا وتمتعا كالأنعام « والذين كفروا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

المجد ما هو إلا مجموعة من الفضائل تتمثل فى رياضة النفس على العدل والإحسان والعفة والنزاهة والصدق والشجاعة والكرامة والأمانة ، والوفاء .. والدين وحده هو الذى يكفل لمن يتمسك به أن يأخذ من هذه الصفات الكريمة فى أسرع وقت وأقرب زمن بأوفى نصيب .

هؤلاء يسيئون إلى أممهم وشعوبهم بمقدار ماتحسن الأديان إلى الناس والمساكين، يتجاهلون ما يسيئون ويدعون أنهم يحسنون . فهم كما وصفهم الله سبحانه إذ يقول: «قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم » ، إلى قوله « ورسلى هزوا » .

هؤلاء أشبه شيء بالنعامة التى تتجاهل الصائد فتجعل رأسها تحت جناحها لتسهل له مهمة الصيد وتستسلم له ، حماقة منها دون أن تحاول فرارا ولا تخلصا . فكذلك هؤلاء يتجاهلون الجناية التى يجنونها والفساد الذى يجرونه إلى شعوبهم بتجريدهم من صفات الرجولة والتماسك حتى تخور قواهم ويقعوا فريسة فى أيدى أعدائهم وخصومهم .

ليس مذهب الوجودية ـ الذى دعا به سارتر فى فرنسا فقامت حوله ضجة عالمية بين منكر له ـ ومؤيد هو نسيج وحده ولا أول شىء من نوعه . وإنما هو تمثيل التحلل الذى ظهر فى فرنسا منذ عهد بعيد فأضعف شوكتها وفل عزيمتها وأخرها عن مستوى الأمم ، وهو تجديد لعهد التحرر الذى مر بفرنسا قبل عهد نابليون . على أنه تجديد لكل نعرة فاشلة يقوم بها بعض ذوى البطالة ، ومن عباد الأهواء والشهوات، يريدون أن يزعموا أنها مذهب وفلسفة . وليس الهدم مذهبا ولا فلسفة، وإنما هو هدم لبناء الأمم وتقويض للشعوب . كما أن التدين تشييد لبناء الأمم .

وبقدر ما تتصل أمة به وتأخذ منه يكون تهدم بنيانها ودعامتها كما أن التدين بقدر ما تأخذ أمة منه يكون رفع مستواها وتحريرها الصحيح .

وإن شئت فقارن بين المسلمين فى ماضيهم وقد اتخذوا الدين إماما وقدوة، وبينهم فى حاضرهم، وقد عرفوا اللهو وأغرقوا فى نسيان القرآن وإهماله . وحسبك أن تقارن بين رجل متدين يخشى الله ويحسن إلى الناس فيعرف ما له وما عليه ، لا يؤذى ولا يبغى ولا يحسد ، ولا يحقد ويلجأ إلى الله فى كل أمره . ويرضى بقضائه وقدره ، غير وان ولا كسل ، ماذا يكون إنتاجه فى الحياة ؟ وكيف تكون علاقته بالناس وقرة عينه بالعيش ؟ وبين وآخر شهوانى طماع لا يعرف إلا الأثرة والأنانية والبغى والتخبط ، كيف تكون مشاكله فى الحياة ، وقنوطه من رحمة الله ، وشقاؤه بعيشه وتعاسته فى قومه .

فقل لأولئك الوجوديين من أتباع سارتر إن جديدكم ليس بالجديد ، وإنما هو هو شىء قديم ينعق به إخوان الشياطين ، ثم يظهر أثره السىء وما يحيق فى الناس من خسف ومسخ وتأخر، فيعرضون عنه ويلتمسون الفرار منه ليستردوا أمجادهم الدينية وتقاليدهم الإنسانية .

— ٤ —

ولقد وصف أمثال هؤلاء السيد جمال الدين الأفغانى وصفا طويلا فى كتابه (الرد على الدهريين) ، فكان مما وصفهم به أنهم كثيراً ما ظهروا فى الأمم منذ القدم يتسمون بسيما رفع الظلم ويدعون إلى تطهير الأذهان من الخرافات . وتنوير العقول بحقائق المعلومات . وتارة يتمثلون فى صور محبى الفقراء ، وحماة الضعفاء . وأنهم فى كل

صورهم غيرة شديدة على قومهم، وهم يميتون القلوب الحية . ويزعزعون النظم الراسخة فما منى بهم جيل إلا انتكث فتله . وسقط عرشه . وتعددت آحاد الأمة ، وفقدت قوام وجودها .

ثم قال السيد رحمه الله : لم يحرم الإنسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده، فتمسك الناس منه بأصول، وانطبعوا منه على خصال . توارثها الأبناء عن الآباء قرنا بعد قرن . ومهما غيروا وبدلوا لا تزال تشرق على عقولهم بأنوار من المعرفة يهتدون بها إلى سعادتهم ، ويقيمون فى ضوئها أساس مدنيتهم . وبهذا كان للأقدمين ما لهم من نوع الثبات والبقاء .

وأطال الشيخ فى وصف أمم خضعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة التى كانوا ينالونها بقوة المقاومة والاعتزاز بالعقيدة والتمسك بالتقاليد الرفيعة .

وذكر منهم شعب وهم اليونان ، الذين كانوا من أشرف الأمم وأعرفها فثبتوا أحقابا ومقاومة الفرس وهى أمة عظيمة ذات مجد شامخ ، فهدموا أركانها ، ثم مدوا أيديهم إلى الهند فطاولوها .

وكانت اليونان تمتاز بصفة الأمانة إلى حد التضحية من أجلها بالحياة . وكان ذلك من عوامل قوتها ومقاومتها .

ثم ظهر فيهم (أبيقور) المشهور بمذهبه الإباحى التحللى .

ظهر هو وأتباعه متسمين بسيما الحكماء ينكرون الألوهية ويقولون: ما بال الإنسان معجبا بنفسه ؟ يزعم أنه أشرف المخلوقات ويدعى أن له عوالم نورانية ، ومعاهد قدسية وحياة أبدية بعد هذه الحياة ، يتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ، ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفة لنظام الطبيعة مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوان بمزية ، بل هو أدنى من جميعها .

وقد تعلم منها كثيراً عما يفتخر به : فقلد العنكبوت فى النسج ، وقلد النحل فى البناء ، وقلد النمل فى الادخار.. وهكذا .

وما زال أبيقور وأتباعه بهذه المملكة حتى استعبدوها للشهوات فوقعت أسرى فى أيدى الرومانيين، وخاضعة لحكمهم ، وكبلوا فى قيود العبودية حتى استردوا بعض أخلاقهم ، فعاد إليهم بعض مجدهم .

والأمة الفارسية كانت أمة تمجد التقاليد وترعى العهود . وتمتاز بالصدق

والأمانة ، لأن التقاليد الدينية كانت أساس حياتهم والمسيطرة على مجتمعاتهم ، فكانوا يؤثرون الصدق إلى درجة أن الواحد منهم لا يستدين مهما بلغت به الحاجة خوفاً من الكذب والمطل وخلف الوعد ، فارتقوا فى الأسباب وبلغوا فى عزة الملك مبلغاً عظيماً .

قال المؤرخ الفرنسى فرنسيس لونورمان : إن مملكة فارس على عهد دارا الأكبر كانت إحدى وعشرين إيالة واحدة تحتوى فيما تحوى على لوخستان والسند .

هؤلاء كانوا إذا ألم الضعف بسلطانهم فى زمن من الأزمان رجعوا إلى أخلاقهم فأصلحوها ، وإلى عقائدهم لجددوها ، فيصلحون بما ألم بهم ، حتى ظهر فيهم مزدك الطبيعى الذى ينكر الاله والرسل على عهد قباذ ، وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم . وبدأ بتعليمه بأن جميع الحدود والآداب التى وضعت بين الناس جور وأن الطبيعة جعلت حق المأكل والمشرب والمباضعة مشاعا بين جميع الناس ، فماذا يحمل الإنسان على حرمان نفسه أو حرمان غيره مشاركته ؟ ولماذا لا تكون أم الرجل وبنته وأخته كزوجه ؟ ولماذا يتركن لغيره يتمتع بهن دونه ؟ وأى سند يستند إليه من يدعى ملكية خاصة فى مال يتصرف فيه دون سواه ؟

وأى وجه لمن يحجر على امرأة دخلت فى عقده ويحظر على الناس نيلها . وقد جعلت الطبيعة كلا من الجنسين للآخر ؟ إن على الإنسان أن يفك تلك الأغلال ويطرح كل قيد قيدته به القوانين والشرائع التى لا واضع لها سوى العقل الناقص !

وذاعت هذه الخرافات بين الفارسيين فتهتك الحياء وفشا الغدر والجناية واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم فقلعت أصول السعادة من بلادهم ونسفت فى الهواء ، وبددت فى الأجواء .. على أن أنو شروان قتل مزدوك وجماعة من أتباعه ، ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة فى سهولة ويسر ، فضعفت شوكة هذه الأمة حتى إذا ماهاجمهم العرب لم تكن إلا جولة واحدة حتى هزموهم مع أن الروم وقفوا للعرب أزمانا طويلة .

ولعلكم تعرفون التاريخ العربى الإسلامى ، وما كان العرب فيه قبل التزام الدين الحق من فوضى وبغى وعدوان وضعف وخور واضطراب اجتماعى وسياسى مع انحرافهم وتحللهم ، وأن الشريعة الإسلامية جاءتهم فمكنت من نفوسهم الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة ، حتى صارت خير أمة أخرجت للناس ، وحتى صارت الأمم الأخرى إذا

اتصلت بهم عجبت لما هم فيه من قوة الروح وسمو النظرات وإيثار الحق على النفس والأقربين ، وحتى كان الناس يفضلون رعايتهم وحكمهم على حكم بنى جنسهم من قومهم ، وحتى أدخلوا فى دينهم مائة مليون فى قرن واحد من أمم مختلفة.. فلما كان القرن الرابع ظهر الطبيعيون بمصر تحت اسم الباطنية وذهبوا إلى التدليس فى نشر آرائهم ومذاهبهم ، خوفا من قوة الإسلام وسيطرته الروحية ، فبنوا تعاليمهم على إثارة الشكوك فى القلوب . وشرطوا فى الداعى أن يكون ماهرا فى التشكيك .. وأدخلوا من طريق التصوف المدخول أن الأعمال الظاهرية مفروضة على المحجوبين ، وأما الواصل فليس عليه صلاة ولا صوم ولا حج ولا غيرها ، وكذلك الحدود والعقوبات ، وهم يفسرون القرآن على أن له باطنا مرده إلى الله سبحانه . ومنهم طائفة الاسماعيلية المعروفة لنا وقد كان من أحوال هؤلاء الباطنيين منذ عهدهم الأول أن يستدرجوا المريد إلى إحلال المحرم ، ثم إلى إنكار الله بأنه لا يشبهه أحد ، فلو كان موجودا لأشبه الموجود ، ولو كان معدوما لأشبه المعدوم ، والله لا يشبهه شىء فهو لا بالموجود ولا بالمعدوم . وقد ظهر بعضهم بآرائهم الخبيثة على منبر (الموت) فى قلعة خراسان فقال : إذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الأعناق ورفعت الأحكام الشرعية جميعها ، والقيامة عبارة عن قيام القائم بالحق ، وأنا القائم بالحق ، فليعمل كل عامل ما أراد بعد اليوم فلا حرج !

وقد كان هؤلاء من أشد العوامل فى ضعف النخوة الإسلامية والتمكين للأعداء ، فإن المسلم إذا تجرد من صفات الإسلام من الصدق والأمانة والعفة والشجاعة والإيمان بالله والرضاء بما قضاه وما إلى ذلك من معانى السمو ضعفت شخصيته ، ووجد فيه العدو فرصة سانحة . وقد حدث ذلك للمسلمين فقد شغلوا بالشهوات ، وأعرضوا عن معانى الإخاء الإنسانى فاختلفوا ، وسادهم القوم الظالمون وخربوا ما أمكن تخريبه من بلادهم ، وهم عاجزون عن الدفاع لتفرق قلوبهم .

وكذلك نال منهم المغول والتتر كل منال . وأهدروا دماء الملايين منهم . وقد كان القليل منهم يهزم الجيوش الجرارة باجتماع كلمتهم وكونهم كالبنيان المرصوص لا يعرفون إلا الطاعة والانضمام إلى صفوف الجماعة . على أننا قد بدأنا اليوم بحمد

الله نستعيد مجد الإسلام والعروبة بفضل الثورة على الأثرة والأنانية والطمع القاتل وبفضل ثورتنا التي جاءت بتمجيد الخلق الفاضل الكريم . وحدت الحدود لكل من تحدثه نفسه بالخيانة أو الغدر أو تلين قناته للمطامع .

وهكذا كلما تتبعت الأمم واحدة واحدة .. وجدت أن النصر والشوكة والعزة والبركة تقترن بالتدين الذى هو خلق متين وسلوك قويم .. والدين كما قلت خير محقق لهذا المعنى، لاسيما الإسلام الذى يأمر كما شهد له أعداؤه بمكارم الأخلاق . والذى هو المعاملة كما قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا المعنى كان انحطاط المسلمين فى العهد القريب .

وبهذا البحث ظهر معنى ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى، فإن خرجتم عن سنتى سلط عليكم من لا يرحمكم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم ..

هذا هو الإسلام

— ١ —

كانت الأديان السماوية رحمة من الله بالعباد ، لتقيل عثار الإنسانية وتزيل تخبطات بنى آدم فى معاملاتهم ، وتحقق بينهم معانى الوئام والحب وترشحهم لخلافة الله فى الأرض إخوانا متحابين وإخوة متساوين. والعقل وحده لايكفل هذه المعانى النبيلة ، ولا يحقق هذه الأخوة الحانية السعيدة : فالعقل يتحكم فيه الهوى فيميل به إلى الظلم والبغى ، ولهذا يقومه الدين ، يقول الله تعالى « كونوا لله قوامين شهداء بالقسط ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » يقول « كونوا قوامين شهداء لله بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » .

فالعقل وحده لايغنى فى إصلاح النفوس ، وتقويم الأخلاق وإشاعة الحب المنشود . أليس العقل هو الذى سلط الأقوياء اليوم على الضعفاء ليستعمروهم وليسلبوهم حرياتهم ؟ والأديان السماوية تأبى ذلك وتقاومه ، أليس العقل هو الذى تفنن فى صنع الناسفات والمدمرات والأقمار والذرات وما إلى ذلك من الفضول ، تشقى به اليوم الإنسانية على حين تدعو الأديان إلى سعادتها ، وجمع شملها ؟

وبعد فإن العقلاء يتناقضون ويختلفون اختلافا كثيرا جداً فى وجهات نظرهم تبعا لاختلاف ثقافتهم ، وتعدد بيئاتهم . وتضارب ميولهم . وعصبياتهم . بل العاقل الواحد يناقض نفسه فيقول اليوم غير ماقال بالأمس . لأنه اليوم فى ظرف يختلف عنه بالأمس . وفى جو غير جو الأمس وهكذا .

ولكن علم السماء واحد لايختلف ، لأنه لا تجدد به الأطوار ، ولا تختلف عليه الأجواء . ولا وجود عنده لعصبية ولا هوى ..

وصدق الله إذ يقول « أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

وإذا فالأديان السماوية خير سناد للمكر ، وموجه له ، توفر على الناس تجاربهم ، وتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وتحول بينهم وبين التورط فى العصبيات الممزقة للشمل ، والأهواء المصدعة للوحدة المنشودة ، وصدق الله إذ يقول: « كان الناس أمة

واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

فالآية الكريمة تدل على أن الاهتداء بهدى الأنبياء ضرورى للبشر وأنه لاغنى لهم عنه مهما بلغوا من كمال العقل، فإن العقل لاسبيل له إلى الوصول للحق ومعرفة مايلزم الإنسان فى توفير مصالحه وتنحية الشر عنه .

فالأديان إذاً خير معوان للناس على تحقيق مآرب البشرية فى حدود السلام والحب العام ، فهى بر ورحمـــة بهم ولولاها لبلغ الخبط أقصى مداه . واضطربت بالناس سبل الحياة . كما ترى حين ينصرف الناس عن الأديان ويعرضون عما تلتزم به من رفق وحنان ، ولهذا صح أن يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقاتل الله هذا العلم المادى فهو الذى فرق الجماعات البشرية وأدار رحى تلك الحروب بينها . وصير رقاع الأرض مجازر بشرية بدل أن تكون رياضا فيحاء وجنات عدن لأبناء آدم الأخوة الصادفين عن الصراط المستقيم .

— ٢ —

ودين الإسلام إذاً واحد من تلك الأديان يمثلها فى أصول الخطط والتوجيهات ، وإن يكن بينها وبينه اختلاف فمن حكم اختلاف الأزمان والظروف والبيئات وما يستتبعه ذلك كما اختلف بعض الأديان مع بعض من قبل ، وكما يختلف المسلمون أنفسهم فى بعض أحكام المعاملات باختلاف البيئات والعرف والأزمنة ومستتبعاتها . وقد وسع الإسلام ذلك كله لأنه آخر الأديان ، وأوسعها رقعة، وأطولها مدة ولهذا تنوعت فيه الأحكام بين العزائم والرخص ، وتنوعت فيه تلك الرخص بما يرفع الحرج عن الناس فى معايشهم ، ويكلفهم بما يطيقون فى عبادتهم ، فالدين ليست مهمته الإعنات وإنما هو سناد للإنسانية وحاجز بين بعض العباد وبعض أن يختلفوا ، كما رأيت . ومهذب لنفوسهم حتى لايضلوا ، ومبين لهم حتى لايضطربوا والله بكل شىء عليم .

فليس من البدع أن يكون هذا الدين مظهرا للسماحة وموضعا لليسر فى تشريعاته وحدوده .

— ٣ —

وقد تجلت سماحته فى أشياء كثيرة عين بعضها بالنص وترك بعضها لعقول البشر وظروفهم فى حدود ما اختط لهم من العدل الذى قامت به السموات والأرض، ولقد وجههم إلى رفع الحرج فيما سكت عنه حتى لا يثيروا فيه تشريعا معينا من السماء ليكون لهم مندوحة أن يتصرفوا فيه بما تمليه الظروف والملابسات .. وما أجمل قول النبى صلى الله عليه وسلم وهو يرسم بعض الخطوط الرئيسية فى هذا المقام : (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودها فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) وقال الله سبحانه مشيرا إلى رفع الحرج عن الناس حتى لا تلزمهم السماء بما لا يناسب بعض الناس فى بعض الظروف : « ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ومن أراد أن يؤمن بسماحة الإسلام ويسره فلينظر إلى ما وضع الإسلام من قواعد تتمثل فى كتاب الله وفى سنة رسول الله وفى كتب الفقه الإسلامى التى تنتظم الأحكام الشرعية ،وتبين ما فى الدين من فرائض وسنن وآداب ومحرم ومكروه وعزيمة ورخصة ، وما إلى ذلك .

— ٤ —

ونحن نلقى ضوءا على ذلك ببعض الشواهد والمثل فيما يلى :

١ — فى القرآن الكريم كثير من الآيات يمتن الله سبحانه فيها باليسر ، ورفع الحرج والعسر ، كقوله سبحانه وقد رفع فرضية الصوم فى رمضان عن المسافر والمريض :«يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وقوله وقد رفع فرضية الوضوء واستبدل به التيمم بالنسبة إلى المريض والمسافر وفاقد الماء .

إذ يقول : « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا . . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم» وكقوله فى صدد بيان أحكام الزواج والتسرى(يريد الله ليبين لكم ويهدى سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » ؛ ويقول فى الدعوة إلى الجهاد فى الله : « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وما أكثر ما تردد هذا المعنى فى الكتاب الكريم .

٢ — فى السنة النبوية مظاهر يسر تتجاوب مع الظواهر القرآنية ، وهل السنة إلا بيان للكتاب و تعزيز لمناحيه وتقرير لمطالبه الكريمة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول (من أم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة) ويقول لمن سأله عن الحج أفى كل عام مرة يارسول الله؟ (لو قلت نعم لوجبت ولن تستطيعوا . ماأمرتكم به فأتوا منه مااستطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم عن أنبيائهم) ، ويقول لرسله إلى الآفاق (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) .

وكان فى حجة الوداع فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال : افعل ولا حرج، ونهى قوما يريدون أن يختصوا وأن يقوموا الليل فلا ينامون . وأن يصوموا فلا يفطرون . وقال لهم: «إننى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» وهو معنى مطرد فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى سيرته الكريمة.

٣ — وقد شرح الفقه الإسلامى كثيرا من هذه المناحى فى الطهارة وما يفترض فلا يسع تركه إلا عند الضرورة ومايسع تركه فى غير الضرورة كالمضمضة والاستنشاق فى الوضوء وتثليث الغسل وما إلى ذلك ، وفى الصلاة للصحيح والمريض والمقيم والمسافر ، وكالمسح على الخفين بدل غسل الرجلين ، وفى الصوم كذلك ، وفى الحج وأعماله وما يلزم له .

كما شرح كثيرا من صور المعاملات وأسهب فى تفصيلها بما يدور حول سماحة الإسلام وأنه أوسع مجال التصرف للناس فى حدود الخطوط الرئيسية التى ترجع إلى جلب المنافع للناس ورفع المفاسد عنهم ، فالتجارة بأنواعها والبيوع على اختلافها، والعقود والالتزامات.. كل ذلك مما شرع الله لعباده، وأباح لهم التصرف فيه على أن يكون عن تراض بين الناس وغير منصوص على تحريمه والمنصوص على تحريمه أبواب معنية تثبت فيها المضارة بين الناس ، ويقوم الأذى فيها والاساءة مقام النور والإحسان . كأكل المال بالباطل بدل البذل بالمعروف . والربا الذى هو نفع مادى بحت لأحد الجانبين وتحد ومضارة للجانب الآخر .

وهكذا كل عقد فيه تغرير بالإنسان أو مضارة له ، فإن الأديان كما قلنا وعلى رأسها الإسلام إنما جاءت لتحقيق معانى التفاهم والصفاء والمساواة والإخاء فى ظل عبادة رب واحد لا شريك له ، يحنن إلى خلقه مهما أساءوا ويتولاهم مهما أعرضوا .

٤ — وهناك معان سامية رفيعة ينشدها الاسلام فى معاملات الناس ولو كانوا من المخالفين فى الدين ، ما داموا غير مقاتلين ولا محاربين . تدل هذه المعانى على أن الاسلام مفخرة المفاخر ، وتلقم الحجر لأولئك الجاهلين الذين يريدون أن يوهموا الناس أن الأديان قد أدت مهمتها . وأن العلم والمدنية قد قاما مقامها . ويا ليت هذا العلم وتلك المدنية على هذا الوجه لم ظهر . ويا حبذا علم الاسلام ومدنيته فقد حجز بين الناس وبين البغى والفساد مهما كان كل واحد من الطرفين، وأباح للناس الطيبات ، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ثم تركهم فى شئون دنياهم وما يشاؤون ، ما داموا فى حدود الصالح العام للمجتمع الانسانى .

يقول الله سبحانه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

وتدل مبادىء الاسلام على هذه القاعدة المشهورة فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى إذا لم يخونوا عهدا ولم يظهروا بعداء : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » فهم والمسلمون سواء فى كل ما يتفق ونظام المجتمع وحقوق المواطنين، وقد أشاع المسلمون ذلك العدل المطلق فى كل ما فتحوا من البلاد، حتى كان أهل البلاد يفضلون أحكامهم على أحكام ولاتهم المتأصلين ولم يكن ذلك شيئا مصطنعا فى الاسلام ولا بين المسلمين خلافا لما تتورط فيه دولوماسيات الاستعمار بين من التظاهر بالعدل ثم ينكشفون عن وحشية وقذارات لا يعرف مثلها فى دين سماوى .

وقد شهد بذلك بعض إخواننا المسيحيين المنصفين، ومنهم (أرنولد) فى كتابه سماه « الدعوة إلى الاسلام » ، وقال فيه :

يمكننا أن نحكم من الروابط الودية التى قامت بين المسلمين والمسيحيين بأن القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس إلى الاسلام . فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القوى فى أمن وطمأنينة . (١) ويقول فيه : لما بلغ الجيش الاسلامى وادى الاردن وعسكر أبو عبيدة فى فحل كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون :

---

(١) راجع ١٧٧ من (شبهات حول الاسلام) للأستاذ محمد قطب .

يامعشر المسلمين : أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا . أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا .

ودعنا من أن بعض المنتسبين إلى الأديان الأخرى من سائر الأمم يمثلون الوحشية ولاسيما فى معاملاتهم مع المسلمين متى ملكوا وقدروا فاننا لانستطيع أن نظلم ديننا من الأديان التى ينتسب إلى بعضها هولاء الجائرون ، وإن الدين الحق كله واحد والاسلام مصدق لما بين يديه من كتب السماء . وقد كان السيد المسيح عليه السلام رسول رحمة وسلام ، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وإنما نحن اليوم بصدد أن نقول للناس : إن الاسلام الذى هو خاتم هذه الأديان والمهيمن عليه دين السماحة فى جميع شئونه واليسر على الناس فى كل مايأتون ، دين الانسانية التى تتسع للاحسان فى معاملة جميع بنى الانسان . ولقد أقبل يهودى خبيث على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السام عليك يامحمد والسام الموت ، فلما سمعته عائشة قالت وعليك السام واللعنة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : مهلا ياعائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله . إن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه ، ولا نزع من شىء إلا شانه، فهلا أيها الناس رفقا بالاسلام ، فما كان إلا رفقا بالانسانية كلها ، وما كان إلا رحمة للعالمين .

الحضارة بين المادية والروحية

(١)

للشيوعية رأيها فى أسس الحياة والوجود والحضارة ، الذى يتجمع فى فلسفة مادية عجيبة ، لا تؤمن بالمثل ولا الروحيات والمعنويات .

فهى ترى أن المادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية خارج نطاق الفكر ، مستقلة عنه ، والمادة أولا ، ثم يتلوها العقل . . ومن ثم فالحياة المادية للمجتمع والوجود المادى له ، لها السيادة على الحياة الروحية ، التى هى عندهم انعكاس الوجود. ويعلق زعيم من زعماء الشيوعية على ذلك بقوله : إن على حزب طبقة العمال ألا يقيم أعماله على مبادىء العقل البشرى المجردة ، ولكن يقيمها على الأحوال المقررة للحياة المادية للمجتمع باعتبارها القوى الفاصلة للارتقاء الاجتماعى (١) ، ويقول انجلز : إن العالم المادى الذى ندركه بحواسنا والذى نحن جزء منه ، هو الحقيقة الوحيدة . وليست المادة من إنتاج العقل بل إن العقل ما هو إلا أسمى إنتاج المادة (٢) .

وهى تذهب إلى أن العالم بطبيعته مادى وأن الظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على أشكال مختلفة من المادة فى تحرك ، وارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة ، وليس من حاجة إلى الروح الشاملة (٣) ، « فهى تؤمن بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها داروين ، ومن ثم تصر على إنكار وجود الله (٤). ويرى كارل ماركس أن امتداد هذا إلى دراسة الحياة الاجتماعية وتطبيقها على المجتمع يؤتينا نتائج على جانب عظيم من الأهمية لأنه يفسر تطور المجتمع ، ويرجع حوادثه إلى أسباب مادية بحيث لا يترك شيئا منها للمصادفة أو للارادة الإلهية أو للأسباب العليا الخارجة عن الطبيعة (٥) .

---

(١) الدستور السوفيتى لفؤاد محمد شبل .

(٢) ٣٣ نقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين طبعة ١٩٤٨

(٣) ٣٠ الدستور السوفيتى . (٤) ٥٣ الشيوعية فى الميزان .

(٥) ٣٦ و ٣٧ نقد النظرية الماركسية .

ومن ثم ترجع الشيوعية كل شيء حتى الدين والأخلاق والفكر والفلسفة والثقافة والقانون والسياسة إلى انعكاسات للأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية ، وتمتد جذورها إلى الظروف المادية للحياة(١) .. وتاريخ ارتقاء المجتمع هو عندهم قبل كل شيء تاريخ ارتقاء الانتاج(٢) ، وتهتم بتفسير الأحداث التاريخية تفسيراً ماديا(٣) ينكر الدين(٤) .

والفلسفة الشيوعية إلحادية بطبيعتها . معادية لكل ما يمت بصلة إلى الدين ، وكان ماركس زعيمها الروحى وشيخ الماديين لا يؤمن بالمثل ولا يدين إلا بالمحسوسات ، ويقول : لا إله والحياة مادة(٥) ، ويقول : رسالة الطبقة العاملة هى القضاء على الدين وعلى الداعين إليه(٦) ، ويقول (هوبز) : إن الأشياء المادية وحدها هى المحسوسة لنا ، وأنا لا أستطيع أن أعلم شيئا عن وجود الله ، إن وجودى الخاص بى هو وحده الأمر المؤكد أما ما عداه فخيال لا أصدقه (٧) . ويقول إنجلز : (٨) لا محل مطلقا لوجود خالق ، ويقول زعيم لهم : الحزب الشيوعى لا يمكن أن يكون محايدا تجاه الدين ، إن الحزب يقف إلى جانب العلم والدين ينافيه(٩) ، ويصرون على أن الدين هو مخدر الشعوب(١٠) .

والمذهب المادى دعاة فى القديم والحديث ، ويناقضه المذهب المثالى والإرادى والحيوى ، ومن أنصاره هيجل وديكارت وشوبنهور ونيتشه وبرجسون وسواهم . وينقده كثير من الباحثين .

وهو على أى حال ينكر العواطف البشرية والمثل العليا والقيم الأخلاقية والجوانب الإنسانية والمعنويات الكريمة من فنون وآداب وديانات وسواها ، مما هو دعامة الحضارة ، والذين يعترفون بها من الشيوعيين يمسخونها ويردونها إلى عوامل مادية .

(٢)

إن هذا المذهب المادى الذى ينتهى إلى إنكار الله ومحاربة الدين يناقض أسس

---

(١) ٦٧ إنجلز (٢) ٧٩ المذاهب السياسية المعاصرة لعلى أدهم ، و١٧ إنجلز
(٣) ٣٢ الدستور السوفيتى (٤) ٥٢ الشيوعية فى الميزان .
(٥) ٥٢ المرجع (٦) ٥٣ المرجع (٧) راجع ١٤٢ الدستور السوفيتى .
(٨) ، (٩) ، (١٠) المرجع .

الإسلام ومبادئه أبعد مناقضة . وينكره الإسلام ويحاربه . . والذين يؤمنون بمثل هذه المبادىء الهدامة هم فى رأى الإسلام مرتدون يحاربون ويقاتلون حتى يفيئوا إلى دين الله ، لأنهم يعملون على مسخ الفطرة الإنسانية ومحاربة فكرة التقدم والحضارة ، ويهدمون الأسس التى بنتها البشرية على مر الأجيال منارا رفيعا للفكر والمدنية .

وفلاسفة الفكر الحديث يصرون على الاعتراف بالله والإيمان بالدين ، يقول شوبنهور : إن فكرة الاله الذى ليس له نهاية ، وقدسية الروح ، والعلاقة بين الله وعباده ، كلها أفكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية . وهى تلك الأفكار التى لا يمكن لى ولا للحياة بغيرها البقاء ، ويقول رينان : من الممكن يضمحل كل شىء نحبه إلا التدين ، فسيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى . وكان تولستوى المبشر الروحى بالشيوعية مؤمنا بالدين ، وكان يقول : إن الدين وحده هو الذى يجعل الحياة ممكنة ؛ ويقول : إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولو أنى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمن بعيد . عش باحثا عن الله وإذن فلن تعيش بدونه . وإذن يقوى اعتقادك فى الكمال الخلقى وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة . إن البشر لا يزالون فى فجر عصر العلم ، وكلما ازداد ضياء العلم سطوعا جلا لنا شيئا فشيئا صفة خالق مبدع . وإن التواضع والإيمان القائم على العلم يدنوان بنا رويدا رويداً إلى معرفة الله (١) . . ويؤكد علماء الذرة والفلك والحياة والرياضة وجود الله ، لأن لديهم أدلة كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لا حد له (٢) .

(٣)

والإسلام يدعو إلى الدين والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والثقة بالمثل العليا والاعتزاز بالفضائل الإنسانية وبالقيم الروحية . . وأساس الحياة عنده هى الروح والمادة تبع لها والروح هى التى ناجت الله فى الأزل وعاهدته على

---

(١) راجع المختار عدد فبراير سنة ١٩٤٧ من مقالة لرئيس أكاديمية العلوم فى نيويورك عن كتاب «الإنسان ليس وحيداً» .

(٢) راجع المصرى عدد ٢٣ / ٨ / ١٩٥١ .

الإيمان بالدين كما يقرره القرآن الكريم (١) . ثم خلقت المادة ، وحلت الروح فى الجسم وبدأت الحياة تنمو ، وبعد هذه الحياة الدنيا يفنى الجسم ، وتنطلق الأرواح ، وتبقى مخلدة ، حتى يأذن الله بالبعث وإحياء الأجسام من جديد . . فالإسلام لا ينكر المادة إطلاقا وإنما يثبتها ويجعلها مسخرة لخدمة الروح .

وكل هذه الأفكار الإسلامية تهدم الأساس الأول الذى بنيت عليه الشيوعية .

وجميع الحضارات القديمة والحديثة على السواء لم تقم على أسس مادية محضة ، إنما كان للعوامل الروحية أثرها البعيد فى قيامها ونموها ، والإسلام يدعو إلى بناء الحياة على الروح : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا(٢) . . ويدعو إلى التحرر من أسر المادة والعيش فى رحاب التأمل والحرية والملأ الأعلى الفسيح ، ليتم وجود الإنسان وكماله وحريته فى الحياة . . وذلك كله هو الأساس الأول للحضارة فى رأى الإسلام .

---

(١) راجع آية ١٧٢ الأعراف .

(٢) راجع آية ٧٧ القصص .

المادية حرب على الأديان

المادية آخر المذاهب الحديثة ، وأشدها حربا لفكرة التدين فى الإنسان ، ولفطرة العقيدة التى فطر الله البشر عليها . وقد شن دعاتها فى الغرب الحرب على الأديان ، وأقاموا حكومات تؤيد مذهبهم الإلحادى ، وتحمل الناس عليه بقوة القانون ، وتطارد دعاة الأديان والمؤمنين بها أينما كانوا .

والمادية فى جملتها تذهب إلى أن المادة فى كافة صورها هى المؤثرة فى كل شىء ، وإلى أنها فى الوجود أسبق، وأن لها ـ لا للمعنويات ـ القدح المعلى فى مصائر الشعوب والإنسانية .

وكان للمادية دعاتها فى القديم ، وممن آمن بها الفلاسفة (هيرقليطس) وليوسيس وديمقريطس . وممن دعا إليها فى الحديث : بيكون ، وهوبز ، وقد ذهب الأخير إلى أن المادة والحركة هما وحدهما الحقيقتان المطلقتان وأن المعرفة الإنسانية تأتى عن طريق الإحساس ، وقد أيده فى ذلك تولاند الذى رأى أن المادة هى القوة ، والحركة والحياة والعقل بعض خواصها ، وأن التفكير هو وظيفة العقل ، وكذلك نهج بريستلى وهارتلى ، وداروين ، وبلا ما ترى ، وسواهم ممن استغنوا عن الروح واطرحوها وفسروا الحياة تفسيراً ميكانيكيا مادياً محضا . وألف « بختر » كتابه (القوة والمادة) والذى ظل حينا دعامة قوية من دعائم المذهب المادى(١) ، وأعظم الماديين هو كارل ماكس اليهودى المادى المتطرف ، وقد ورث الروح المادى عن أستاذه إنجلز الذى كان يقول : إن العالم المادى الذى ندركه بحواسنا ، والذى نحن جزء منه ، هو الحقيقة الوحيدة ، وليس الإدراك والتفكير إلا نتاجا لعضو من أعضاء جسمنا ، وهو المخ ، فليست المادة من إنتاج العقل ، بل إن العقل نفسه ما هو إلا أسمى إنتاج للمادة . وتفسير ماركس للمادية هو الأساس الأول الذى يبنى عليه الشيوعيون مذهبهم ، فنجد لينين وستالين يقرران أن المادة والطبيعة والوجود

---

(١) راجع ص ٢٦ وما بعدها من كتاب نقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين طبعة ١٩٤٨ .

حقائق موضوعية ، خارج نطاق عقلنا ، ومستقلة عنه ، والمادة تأتى فى الصدارة ، ويتلوها العقل ، ومن ثم فالحياة المادية للمجتمع والوجود المادى له ، لها السيادة على الحياة الروحية التى هى انعكاس للمادة ، كما يقرران أن العالم بطبيعته مادى ، وأن الظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على أشكال مختلفة من المادة فى تحرك ، وأن ارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة ، وليس من حاجة إلى الروح الشاملة(١) ، وكذلك تؤمن الشيوعية الحديثة بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها دارون ، ومن ثم تصر على إنكار وجود الله ، وكان إنجلز يرجع كل شىء حتى الدين والأخلاق والفكر والثقافة إلى انعكاسات للأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية(٢) ، ويفسر هو وتلاميذه الأحداث التارخية تفسيرا ماديا ، وهذا التفسير الاقتصادى للتاريخ ينكر الدين . وكارل ماركس شيخ الماديين لايؤمن بالمثل ، ولا يدين بالمحسوسات ، ويؤثر عنه قوله : (لاإله والحياة مادة) ، وقوله (رسالة الطبقة العاملة هى القضاء على الدين والداعين إليه ، وكان (هوبز) يقول : (إن الأشياء المادية وحدها هى المحسوسة بالنسبة لنا ، فأنا لاأستطيع أن أعلم شيئا عن وجود الله ، ووجودى الخاص هو وحده الأمر المؤكد ، أما ماعداه فخيال لاأصدقه) ، وكان إنجلز يقول : (لامحل مطلقا لوجود خالق)(٣) .

كل هذا قطرة من بحر من آراء الماديين فى إنكار الروحيات ، وجحد وجود الله ، ونبذ فكره الدين ، وحربهم الخطرة على الأديان .

ولا شك أن هذا المذهب الإلحادى على ضلال مبين ، وهو لايحارب بآرائه الإسلام وحده ، وإنما يشرك معه جميع الأديان ، والذين يؤمنون بهذا الإلحاد هم فى رأى الإسلام مرتدون ، يقاتلون حتى يفيئوا إلى دين الله وإلى الحق .

إن الدين عنصر من العناصر التى لاتتم الحياة بدونها ، وهو رسالة الله إلى الإنسانية ، حملها الأنبياء والمرسلون ، وأدوها إلى الناس لخيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، والفلاسفة والمفكرون الذين لهم خطرهم فى الحياة الفكرية فى العالم

---

(١) راجع ٨٣ المذاهب السياسية المعاصرة ، ١٤٢ الدستور السوفيتى ؛ ٣٥ الشيوعية فى الميزان .

(٢) راجع ٣٠و٣١ الدستور السوفيتى - طبع النهضة ١٩٤٩ .

(٣) ١٧ الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية لفردريك إنجلز .

القديم والحديث كانوا من خير الدعاة إلى فكرة الدين والإيمان بالله ورسله ، وكان تولستوى يقول : (إن الدين وحده هو الذى يجعل الحياة ممكنة) ، ويقول : (إننى لاأعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولولا أننى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجودالله لقتلت نفسى من زمان بعيد ، عش باحثا عن الله وإذاً فلن تعيش بدونه ، وعندما اعتقدت فى وجود الله اعتقدت فى الكمال الخلق وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة) .

ويقول شوبنهور : إن فكرة الإله الذى ليس له نهاية وقدسية الروح ، والعلاقة بين الله وعباده ، كلها أفكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية ، وهى نفس الأفكار التى لا يمكن لى ولا للحياة البقاء بغيرها . ويقول رينان : من الممكن أن يتلاشى كل شىء نحبه إلا التدين فسيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى . ويثبت كريسى موريسون ـ الرئيس السابق لأكاديمية العلوم فى نيويورك فى كتابه (الإنسان ليس وحيدا) وجود الله بأدلة علميةلا تقبل الجدل وينتهى إلى أن الله فى كل مكان وكل شىء ولكنه أدنى مايكون إلى قلوبنا ، وأن قول صاحب المزامير : (السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه) هو قول صحيح من ناحية العلم والتخيل جميعا ، وأكد عدد كبير من علماء الذرة والفلك وعلم الحياة والرياضة أن لديهم أدلة كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لاحد له ، ويقول الدكتور راين : إنه ثبت من أبحاثه فى المعامل أن فى الجسم البشرى روحا أوجسما آخر غير منظور ، وقال عالم آخر : إنه لايشك فى أن الكائن الأعظم وهو ماتسميه الأديان السماوية (الله) هوالذى يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة فى هذا الوجود .

وإذا ثبت وجود الله ثبتت الرسالة وفكرة الدين ، وثبت أن محمداً والرسل قبله صادقون فيما يحدثون به عن اللهمن عقائد وشرائع وأديان ، وأن علينا واجب الإيمان بها وبخاتمةهذه الرسالات ، وهى دين الإسلام ، وبالكتاب الخالد (القرآن) معجزة هذه الرسالة .

وصدق الله العظيم فى قوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ » .

الحرية الدينية

فى ظل الإسلام والشيوعية

(١)

الحرية الدينية هى أعظم حق من حقوق الانسان ، وقد أيدتها المذاهب الفكرية الحديثة ، ونص عليها ميثاق الأمم المتحدة .

والاسلام يدافع عن الحرية الدينية إلى أبعد مدى، وينتصر لها ، ويأذن للمؤمنين الذين يضطهدون فى دينهم بالدفاع عنـــه ، وهو لايبيح لأنصاره أن يتحكموا فى الحريات الدينية . ويأمرهم أن يحترموا الأديان : « لا إكراه فى الدين(١) » ، « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه »(٢) وأن يبروا أهلها ويقسطوا إليهم: «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين(٣) » ، ووصايا رسول الله وخلفائه فى احترام الحريات الدينية مشهورة.

ولكن الشيوعية الحديثة تنكر لهذه الحريات تنكرا شديدا .. وأعمال دعاتها وزعمائها فى بلادهم شاهد صدق على مانقول .. فنى روسيا نجد أن الثورة الشيوعية فيها قد بدأت بحملة قاسية على رجال الدين ، فقتل عدد كبير منهم ، وحرم عليهم الظهور فى المجتمعات العامة ، وأغلقت بيوت العبادة ، وصودرت أوقافها ، وحرم الشيوعيون تدريس الدين ، وألغوا القسم به وألفوا الجمعيات للدعاية اللادينية، وأصدروا مجلة أسبوعية اسمها (بلادين) ، وفى عام ١٩٢٥ عقد مؤتمر بموسكو لوضع الخطط الخاصة بالقضاء على النزعة الدينية وبث روح الالحاد فى المدارس والجيش ، وأخذ (اتحاد الالحاد) فى النشاط حتى بلغ عدد فروعه فى ١٩٣٥ سبعين ألفا تضم الملايين .. وفى عام ١٩٢٩ صدر قانون يحظر الدعاية الدينية ويعتبرها عملا غير مشروع ، وبذلك عطلت مادة الدستور التى تنص على أن الدعاية الدينية مكفولة

---

١) من آية ٢٥٦ البقرة (٢) ٦٧ الحج (٣) ٨ الممتحنة

كالدعاية اللادينية .. وفى مايو ١٩٣٢ صدر قانون يهدف إلى القضاء على الهيئات الدينية خلال خمسة أعوام جاء فيه : فى أول مايو ١٩٣٧ لن يبقى فى كافة البلاد أى مكان للعبادة ويجب القضاء على فكرة الإله بحسبانها من بقايا القرون الوسطى(١)، ونصت قوانين عام ١٩٣٩ على حظر الاجتماعات الدينية الخاصة وعدم السماح للهيئات الدينية بالاحتفاظ بأى نوع من الكتب إلا ما يلزم فى المراسيم الدينية ،وحظر بناء أمكنة جديدة لممارسة الشعائر الدينية .. وإذا كانت روسيا قد أطلقت الحريات الدينية خلال الحرب ، فانما كان ذلك ذرا للرماد ودفعا للشعب إلى تحمل مرارة الكفاح وكسبا لعطف شعوب العالم لتساعد روسيا فى محنتها . ولا يعنى هذا إيمان الشيوعيين بالدين ، فالطبقة الحاكمة هناك لن تقبل فى صفوفها إنسانا يؤمن بدين من الأديان ، ومنزلة الدين فى روسيا خلال الحرب وبعدها لا تصل إلى عشر ما كانت عليه قبل الثورة الشيوعية(٢) ، والتعليم فيها ينشر الالحاد ، والجماعات كلها تنفر من الدين ، وتأثير رجال الدين على الشباب قليل ، وهم يخضعون لتوجيهات الدولة خضوعا مطلقا .

(٢)

وللشيوعية موقف خاص من الإسلام يمثله قول مولوتوف : لن تنتشر الشيوعية فى الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز وفلسطين .

ولقد عادى زعماؤها فكرة الجامعة الاسلامية لقوميات المسلمين هناك ، ولم يأت عام ١٩٣٣ حتى أرغمتهم الحكومة على اتخاذ الحروف اللاتينية بدل العربية ، وبذلك قطعت صلة هذه القوميات بالعالم الاسلامى ، وفى عام ١٩٣٨ أمرتهم باتخاذ الحروف الروسية . مع أن روسيا أباحت الأرمن والجورجيين — وهم أقل من المسلمين فى بلادها — الاحتفاظ بحروفهم الهجائية الخاصة ، ولم ترغمهم على اتخاذ الحروف اللاتينية أو الروسية(٣)

وبهذا أصبح المورد الثقافى للمسلمين هو اللغة الروسية وآدابها وثقافاتها عوضا عن اللغة العربية والثقافة الاسلامية .

---

(١) ١٤٢ الدستور السوفيتى

(٢) راجع كتاب روسيا السوفيتية لمؤلفه دالن

(٣) ١٨٩ الدستور السوفيتى

وهناك قيد آخر على الحرية الثقافية للمسلمين ، إذ لا تجيز الشيوعية أن تكون لأية قومية أو أقلية عنصرية فى بلادها — ومن بينهم المسلمون — علاقة روحية أو ثقافية بقومية أخرى تماثلها فى العقيدة أو الثقافة خا ج نطاق بلادها(١) . وبهذا حيل بينهم وبين الاتصال روحيا وثقافيا بالعالم الاسلامى الحر .

وقد اضطهدت الشيوعية المسلمين فى تركستان وبخارى وسمرقند وطشقند وفرغانة وخوارزم ؛ ونفت الكثير منهم إلى مجاهل سيبريا .

وظهر شعورها حيال المسلمين فى تأييدها المطلق للصهيونية واعترافها بإسرائيل بعد وجودها مباشرة .

إن الحرية الدينية فى ظلال الشيوعية لاوجود لها . وهذا هو ما يأباه الاسلام وتنكره مبادئه السمحة .

---

(١) ١٩٠ الدستور السوفيتى .

السـلام

الاجتماعى بين الإسلام والشيوعية

— ١ —

وفكرة السلام الاجتماعى مبسوطة فى القرآن الكريم بسطا واسعا ؛ وقد دعا إليها الاسلام ورسوله ، وتناول أطرافا منها التشريع الاسلامى وحرص على تطبيقها الخلفاء والولاة المسلمون ، ويمثل بعض مظاهرها قول الرسول : لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؛ والقول المأثور : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .

وليست فكرة السلام الاجتماعى أمرا مندوبا يدعو اليه الاسلام . ولكنها فرض واجب وعمل حتم ، وهى جزء من العقيدة الاسلامية ، وأساسها أن المجتمع مهما كبر أسرة واحدة ، وأن على كل إنسان فيه أن يؤدى الواجب عليه للآخرين نفس الشعور الذى يشعر به نحو أسرته ، وأن يعمل على نشر الأمن والسلام والمحبة والتعاون بين الناس ، وأن يشعر روحه تلك المعانى ويعتقد أنه لايتم إيمانه بدونها ، وأن عليه أن يضحى من أجل غيره ، ويؤمن بالإيثار ، ويبذل المال والروح فى سبيل أخيه الإنسان ، ولذلك حرم الإسلام الرذائل الاجتماعية ، ونهى عن الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم . كل المسلم على المسلم : دمه وماله وعرضه ، وأوجب الزكاة ، وحث على الصدقة والإحسان وتفريج كربة المهموم ومساعدة المحتاج . . وأوجب العدل بين الناس ، وحارب الأهواء والشهوات والمحسوبية ، وحتم التكافل الاجتماعى بين الناس ، وجعل أساس العلاقة بين الانسان والانسان وبين الجماعة والجماعة هو السلام ، وأوعد المخالفين أشد الوعيد .

أما الشيوعية فتؤمن بمبدأ اجتماعى عجيب ، هو (صراع الطبقات(١)) ، يقول

---

(١) ٧٧ الدستور السوفيتى .

وماركس إنجلز : إن تاريخ كافة الجماعات الحاضرة: هو تاريخ الصراع بين الطبقات .. ويقول ماركس زعيم الشيوعية الروحى : ان تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها مالم تنسف جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها ، ويقول : إن صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة .. ويدعو ماركس إلى الثورة والانقلاب الشامل كضرورة للاصلاح .. ويؤثر عن لينين : من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية .. ويقول ستالين من رسالته فى المادية الجدلية : تحرير الطبقة العاملة لا يمكن تحقيقه إلا بالثورة فقط .

هذه النظرية نقدها علماء الاجتماع نقدا عادلا (١) ، وهى ولا شك تبذر بذور الحقد والبغض والكراهية بين الناس، وتعمل على نشر الثورات والحروب، وتقضى على التعاون والسلام فى المجتمع .. مما ظهر أثره فى الثورة الشيوعية فى روسيا واضحاً ملموسـاً .

وهى نظرية لا يقرها عقل أو دين ، ويحاربها الإسلام حربا شعواء ، لأنها تفسد الأمن والسلام ، وتقضى على الإخاء الإنسانى ، وتجعل بعض الناس أعداء لبعض ، وتولد البغضاء والشقاق فى المجتمع .

وفى عصور الجاهلية الأولى لم تدع جماعة أو أمة إلى « صراع الطبقات » .. ويسير لإصلاح العام فى الدول المتحضرة بالوسائل السلمية دون سواها ، ولقد أوجب الاسلام أن يعيش الفقراء والأغنياء بجوار بعض أخوة متحابين متعاونين فى الحياة ، وكذلك سائر الطبقات .. « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » .

---

(١) ٧٤ — ٨٢ نقد النظرية الماركسية

السلام العالمى فى الإسلام والشيوعية

— ١ —

السلام العالمى دعوة إلى التعاون بين الأمم والشعوب ، وحل مشكلاتها بالوسائل السلمية ، وتحريم الحروب التى تقوم للاستعمار والاستغلال ، بل تحريمها لغرض نشر الدين أيضا : «ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك(١)» والإسلام بنظمه وروحه وأهدافه يعمل على نشر هذا السلام ويدعو إليه ، ويجعله هدفا من أهداف الانسان ، «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها (٢)» : ويؤيد هذا المبدأ بأن الناس بجمعهم أصل واحد ، وأن التعارف والتآلف والتعاون يجب أن يسودهم ، «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (٣)» . ولذلك ألغى الإسلام العصبيات وفوارق الألوان والأجناس داعيا إلى الوحدة الإنسانية ، وإلى أن يعيش الناس كما بدأوا أمة واحدة : «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا (٤)» ، «وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم (٥)» ، ولم يشرع الإسلام الحرب إلا للدفاع عن النفس أو العقيدة .

— ٢ —

إن السلام - فى رأى الإسلام - ضرورى الانسانية ، وتلك قضية لا ريب فيها ، فالسلام هو أنشودة البشر ، وأمل الإنسانية ، لأنه ضرورى لتقدمها .

هو الذى يساعد على الإنتاج ، وعلى رفاهية الناس وتقدم التجارة والصناعة والزراعة ، وعلى نشر العلوم والفنون والآداب ، وعلى سير الحضارة والمدنية والرقى .

أما الحرب فتهدم ولا تبنى ؛ وهى وسيلة للتدمير والتخريب ، تبعث على الذعر والخوف والاضطراب ، وتدع الملايين من بنى البشر فى شقاء وظلام ، وتحط من مستوى التفكير والعمل والنشاط بما تنشره من فزع وأحزان ، وتوقف سير المدنية وتعوق تقدم بنى الإنسان .

---

(١) ٦٧ الحج (٢) ٦١ الأنفال (٣) ١٢ الحجرات
(٤) ١٩ يونس (٥) ١٤ الشورى

وأنت ترى المفكرين ينادون بتحريم الحروب وتوطيد دعائم السلام بنزع السلاح ، وتحريم شن الحروب ، وبالعمل على توثيق الروابط الفكرية والاقتصادية بين أمم العالم ، وعلى إيجاد أخوة عالمية وزمالة إنسانية ، بل بإيجاد حكومة عالمية.

السلام هو المدنية والحضارة ، والحرب هى الدمار والخراب ، والسلام هو أهم عامل يساعد الإنسان فى الحياة على التقدم، والحرب أفظع ماشهده الإنسان وخاصة فى العصر الحديث الذى كشف القنبلة الذرية الصاروخية وسواها من وسائل الإفناء.

ولقد دعا الإسلام إلى السلام ، وحث عليه ، وأوجب السلام فى المجتمع ، كما أوجبه بين الأمم والشعوب ، وحمل المسلمون رسالة السلام إلى الأمم والشعوب وبشروا بها الإنسانية داعين إلى الرحمة والمحبة والتعاون والخير العام .

وفكرة السلام جزء من العقيدة الإسلامية ، وأساسها أن المجتمع مهما كبر أسرة واحدة ، والناس إخوة فى الله والإنسانية ، وعلى كل فرد أن يعمل على نشر الأمن والسلام والمحبة والتعاون بين الناس ، وأن يؤمن بالإيثار وبالبذل وبالتكافل والتعاون الانسانى .

والإسلام يدعو إلى السلام العالمى وإلى أن تقوم العلاقات بين الأمم والشعوب على التعاون والإخاء والتعارف ، وألغى العصبيات وفوارق الألوان والأجناس .

فالدين الإسلامى فى جوهره ، شريعة السلام والوئام ، ودين الحرية الشخصية والأمن الاجتماعى والإخاء البشرى، وهو من أجل ذلك يحارب الفوضى والاضطراب والشقاء ، ويحارب الطغيان والإرهاب. وكل مايحول دون تمتع الفرد بحريته ، والمجتمع بأمنه والبشرية بالسلام والإخاء المنشودين .

والدين الإسلامى فى اشتراكيته العادلة ، ومبادئه السمحة الواضحة ، وفى عمله على النهوض بالمجتمعات والشعوب فى ظلال التعاون والمحبة، وفى رعايته لمصلحة الفقير والغنى جميعا ، وفى وضعه للمبادئ العامة التى تكفل للانسانية الأمن والتقدم والرقى ، هو فى ذلك كله رمز مبادىء السلام ، ويعمل على خلق جو جديد ترفرف فيه أجنحة السلام والإخاء والحرية والحضارة والنور والعلم والعرفان .

— ٣ —

أما الشيوعية فتؤمن بالحرب وتدعو إليها ، وتقضى على السلم العالمى ، بإنشائها وتشجيعها للشيوعية الدولية (الكومنترن) التى تحدد أهدافها فى نشر

الشيوعية فى العالم ، وتحويل العمال فيه إلى شيوعيين ، وإثارة الاضطرابات والقلاقل السياسية ، والاجتماعية ، الاقتصادية فى الدول تمهيداً لثورة الطبقة العاملة ، وسيادة الشيوعية ، وإذا كانت هذه الشيوعية الدولية قد ألغيت عام ١٩٤٣ تقربا للغرب والديمقراطيات ، فقـد حل محلها مكتب الاستعلام الشيوعى (الكومنيفورم) ، وموسكو وإن تظاهرت بحل الدولية الشيوعية لا تزال توجه الحركات الشيوعيـة فى جميع أنحاء العالم(١) ، ولا يترك ستالين فى كتابه (مشاكل اللينينية) أثرا للشك فى اعتقاده الذى لا يتزعزع فى أن من حق روسيا بل من واجبها المقدس أن تستخدم القوة فى إشعال نار الثورة فى البلاد الأجنبية إذا ما لاحت الفرصة لإشعالها ، وجاء فى مقدمة الكتاب : إن دراسة تاريخ الحرب لتقوى الاعتقاد فى النصر النهائى للهدف الجليل الذى عمل له لينين وستالين وهو انتصار الشيوعية فى العالم كله (٢)

وهذه الأفكار كلها تهدم صرح السلام العالمى ، وتناقض ما يؤمن به الإسلام ويدعو اليه ، والإسلام يحرم أن توجد علاقات دولية قائمة على غير المحبة والتعاون الانسانى ، ويحارب بذر الشقاق بين الأمم ، ويعادى اللصوصية المستترة ، والجاسوسية المتخفية ، والتمرد على النظام العام فى الجماعات والشعوب .

فأين هذا السمو الإلهى الاسلامى فى الفلسفات القديمة والحديثة على السواء ؟ لقد كان أرسطو وأفلاطون يقرران أن العلاقة بين الدول هى علاقة العداء والمنافسة : ويقرر أرسطو أن غير اليونانيين أعداء خارجون على القانون ، وإخضاعهم واجبه سياسى ، فأين هذا من سماحة الإسلام وجلال مبادئه وأهدافه ؟

---

(١) ٦٤٢ آثرت الحرية لكرافشنكو (٢) ٦٤٧ المرجع

السر فى قيام الإسلام

إن السر فى قيام الشيوعية وظهورها هو هذا الخداع الغريب الماكر الذى تتراءى فيه للفقراء والمحرومين والطبقات المظلومة فى مظهر المنقذ المختار لنشر الغنى والسعادة بين الناس ، وما تؤمن به الشيوعية من صراع الطبقات ، وعملها فى بيئة كانت المرتع الخصب لها ، والظروف الدولية التى تحيط بالعالم عقب الحرب الكبرى . وطغيان زعماء الشيوعية طغيانا لم يعرف له نظير ، ومظاهر المجازر البشرية القاسية وعدد الضحايا الهائل فى روسيا ، وسجون الاعتقال ، والتشريد والنفى إلى مجاهل سيبريا ، والبطش بخصومها فى الرأى ، والتنكيل بمعارضيها فى الفكرة ، والقضاء على الطبقات المعارضة لها فى بلادها ، وأخيرا بهذه الشيوعية الدولية التى يؤيدها الذهب والدعاية والنفوذ .

وهذه كلها وسائل لا يؤمن بها دين ، ولا يقبلها ضمير ، ولا يوافق عليها عقل ، وما أضل عقول الجماهير الجاهلة التى تفهم أن الشيوعية تدعو لنفسها بنفسها لأنها حلم الساعة .

أما الإسلام فعلى العكس من ذلك ، وأمره فى قيامه وفى ذيوعه فى العالم على العكس من ذلك .

لم يكن الإسلام ثورة ولم يدع إليها ولم يبن خططه على حرب العصابات وصراع الطبقات ، ولم يخدع محمد المحرومين ، ولم يدع إلى مبادىء تافهة يعجز عن تنفيذها ، ولم يؤيده ذهب ولا فضة ولا نفوذ أو سلطان ولا جاسوسية أو لصوصية ، إنما كان الإسلام رسالة إلهية للاصلاح ، وهى رسالة الحرية والإخاء والمساواة والعدالة الدينية ، والعلم إلى العالم كافة والبشرية بجميع طبقاتها : ولم يكن السر فى قيامه وانتشاره إلا لما حواه من مبادىء الحق والقوة والخير والجمال (١) .

---

(١) راجع كتاب « السر فى انتشار الإسلام » لمحمد عرفه — ط ١٩٣١ ، وراجع ٢١٧ رسالة التوحيد لمحمد عبده — ط ١٣٦١

لقد جمع الإسلام إليه الأمة العربية من أدناها إلى أقصاها فى أقل من ثلاثين سنة ، وتناول من بقية الأمم ما بين المحيط العربى وجدار الصين فى أقل من قرن واحد ، وكان قيامه فى الجزيرة العربية أثرا للدعوة إليه واقتناع العرب به ، إذ لم يفرض عليهم بقوة السلاح ، ولا بتأييد من عصبية أو سلطان .

ولم تكن حروب محمد وخلفائه إلا دفاعا عن حرية العقيدة التى كان الشرك يريد القضاء عليها ، وعلى نور الله الذى انبثق من الصحراء على يدى محمد . وكانت مبادىء الإسلام نفسها ، وروح العدالة المطلقة والإخاء والمساواة التى سادت المسلمين الأولين بإيحاء قوى من دينهم ، هى السبب الأكبر فى انتشاره : لقد دعا الإسلام بنفسه لنفسه ، ولم يؤمر محمد بشىء إلا بالدعاية لرسالته « وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم(١) » ، ويحق الله الحق بكلمته ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون .

(١) ٦٧ الحج

مبادىء الإسلام هى السبب فى انتشاره

كان المسلمون منذ بدأوا حياتهم الحافلة ، بعد أن انبثق نور الإسلام وبزغ على العرب فجر جديد ، فى كفاح ونضـــال وجهاد مستمر : حاربوا طغيان الأفراد والجماعات والشعوب فظفروا ظفرا مؤزرا « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » واكتسحوا الدول والأقطار ناشرين لهداية الله مؤيدين بروحه وأمنه حتى انتشر الإسلام فى كل مكان ، وعم ضوؤه الآفاق .

وكان هذا النصر العظيم معجزة كبرى بهرت الناس . وحيرت المفكرين ، لأنه نصر خارق ، شمل جميع الميادين : الحربية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والفكرية . « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » ، فشملت الدولة الإسلامية أكثر أمم العالم المعروف آنذك . وكانت العواصم الإسلامية هى محور السياسة العامة ، ومحط أنظار الناس . والنظم الاقتصادية التى شرعها الإسلام كانت هى النظم السائدة بين جميع هذه الشعوب ، والثقافة الإسلامية كانت هى المنهل العذب الذى ترنو إليه العقول والعيون ، ويستمد منه الناس ثقافتهم وعلومهم وفنونهم وآدابهم . . والنظام الاجتماعى الذى وضعه الإسلام وكفل به التضامن الاجتماعى بين الأفراد والجماعات والطبقات ، وجعل الغنى والفقير والكبير والصغير والأمير والعامل إخوة متحابين فى الله . . هذا النظام الرائع هو الذى كانت تحلم بأن تحيا فى ظلاله امبرطوريات كسرى وقيصر وشارلمان ، والذى ارتمت فى أحضانه كثير من البلاد والأمم ، وكذلك مناهج التفكير العامة وألوان الحضارة المشرقة عند المسلمين ، كانتا هما السائدتين فى البلاد الخاضعة لنفوذ الإسلام . فوق أنهما من الآمال العزيزة التى كان يحلم بها وبالعيش فى ظلالها الملوك والأمراء والعلماء والعامة فى جميع الأقطار .

هذا التقدم العظيم والروح الوثاب ، والنهضة الجبارة كان منشؤها الدين نفسه وشريعة الإسلام بما اشتملت عليه من آداب ونظم وأخلاق ومثل وعادات ونواميس وأهداف . . . فمبادىء الإسلام هى السبب الأول فى نشره وارتماء الأمم فى أحضانه .

لقد حارب الإسلام الضعف بجميع صوره وألوانه :

حاربه فى الفرد . فدعا إلى أن يكون المسلم قويا عزيزا كريما كما يقول الرسول الكريم : « المؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف ، ويقول: «اليد العليا خير من اليد السفلى » أى المعطى خير من السائل ، ودعا إلى العمل والجهاد فى سبيل العيش : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وقدس حرمة الأموال والأعراض : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

وحاربه فى المجتمع، ليقضى على الرذائل والشرور، وعاقب عليها عقابا صارماً، وأمر بشتى الفضائل الاجتماعية ، التى تكسب المجتمع قوة وأمنا وطهرا وخيرا ، وشرع قاعدة اجتماعية مثلى ، تصور لك آداب الإسلام وأصول دعوته، وتبين لك إلى أى مدى كان التضامن الاجتماعى يسود الطبقات والجماعات فى ظلال الإسلام، وهى كما يقول الرسول الكريم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وكما جاء فى الأثر : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » .. وهذا نظام اجتماعى أساسه حب مصلحة الغير، والمحافظة على حقوق الناس وتعود الإيثار والبر والخير والرحمة والتعاون ، ومقت الاثرة ، وبهذا وثق الصلات بين الأغنياء والفقراء ، كما قضى على العصابات ، ونشر الإنصاف والعدالة والحق والمساواة بين الناس جميعا . ودعا الرأى العام الذى ربى على أصول دعوة الإسلام إلى أن يكون قويا جريئا ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، بل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقف فى وجه الظلم والطغيان .

وحارب الضعف فى الأمة ، فجعل راعيها هو القوام على حقوقها . والأمين على مصالحها ، والذائد الحامى الذمار عن أحسابها وشرفها وكرامتها ، والحاكم العادل الذى ينشر الأمن ، ويبعث الرحمة ، ويسوى بين الناس ، ويعطى كل ذى حق حقه .

ودعا الناس - مع دعوته إلى تكوين الأخوة الاسلامية القوية - إلى إخوة إنسانية عامة شاملة ، لا فرق بين الأمم والعناصر والعقائد والمذاهب : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

وهذا كله هو السبب فى مجد المسلمين الأولين وحياتهم ، إذ آمنوا بهذه المبادىء ونهجوا على طريقها فى حياتهم وآدابهم وسلوكهم ، وهو السبب فى انتشار الإسلام بسرعة خارقة للعادة فى جميع الأقطار والأمصار .

حقائق واضحة

إن أكثر المذاهب القديمة والحديثة قامت على الدماء والأشلاء ، وكل النظم التى سادت ـ وتسود اليوم ـ العالم قد ذهب ضحيتها ملايين البشر . . أما الإسلام ، وأمره فى قيامه وفى ذيوعه فى العالم كله ، فعلى العكس من ذلك : يقول هانوتو :

« لما بعث الشرق من مرقده عاش فى الإسلام ، وانتصر بالإسلام ، ولا يزال يحيا اليوم وغدا فى الإسلام » .

وأضيف إلى ذلك أن الإسلام إنما قام على السلام والحرية : حرية الدين ، وحرية التملك والكسب ، وحرية الطمأنينة على النفس والمال .

وهو ليس ثورة طبقة على طبقة ، وصراع جماعة لهدم أخرى . . ولم يكن قيامه وانتشاره إلا لما حواه من مبادئ القوة والحق والخير والجمال .

إن الإسلام رسالة إلهية ، لا مبدأ اخترعه بشر ، وهو رسالة الحرية والإخاء والمساواة والعدالة والإصلاح والمدنية ، إلى العالم كافة ، والبشرية بجميع طبقاتها .

لقد كانت مبادئ الإسلام نفسها ، وروح العدالة المطلقة والمساواة والإخاء التى سادت المسلمين الأولين بإيحاء قوى من دينهم ، هى السبب الأكبر فى انتشار الإسلام بين الأمم . . وكانت حرية الأديان محرمة إلا فى بلاد الإسلام . إن سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة إنما كان لسهولة تعقله ، ويسر أحكامه ، وعدالة شريعته . وبالجملة لأن فطر البشر تطلب دينا ، وترتاد منه ما هو أمس بمصالحها ، وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها(١) .

ولا داعى للإفاضة فى هذه الحقيقة التاريخية فإنها معلومة مشهورة ، ولكنى أقصد من ذلك الرد على مفتريات المبشرين ودعاتهم ، الذين يضللون عقول الجماهير ، ويقولون : إن الإسلام قام بالسيف ، وإن الجنود المحاربين هم الذين حملوه إلى جهات الدنيا ، وهذا افتراء على الحقائق ما بعده من افتراء ، فدعوة الإسلام هى التى كانت تدعو إلى نفسها بنفسها ، والإسلام معناه السلام ، وهو حامى الحريات ، ومحرر الشعوب والجماعات ، والتاريخ الإسلامى شاهد صدق على أن مبادئه هى السر

---

(١) رسالة التوحيد ص ٢١٧ ـ محمد عبده ـ طبع المنار ١٣٦١ هـ بمصر .

الأكبر فى انتشاره ، وإن كان المسلمون حملوا السيف ليدافعوا به عن أنفسهم ، وليحموا العقيدة من عدوان المشركين والوثنيين ، ولم تهاجم الجيوش الإسلامية امبراطوريتى الروم والفرس إلا للقضاء على المناورات العسكرية الخفية التى كانت تريد أن تمهد الإطباق على الجزيرة العربية ووأد الدين الجديد فيها .

إن كثيرا من المذاهب الحديثة والقديمة على السواء قامت على الثورة والحرب والكفاح وصراع الطبقات ، ولكن الإسلام لم يكن فى حاجة إلى شىء من هذا ، والمسلمون كانوا دعاة خير وعدل وإنصاف ورحمة وبر وتعاون ، ولا شك فى أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مؤمن بحرية الفكر والعقيدة ، وكافر بها لا يحجب مثله بمبادىء الخير والتكاتف والسلام ، بل يحنق عليها ويبغضها .

وإذا أردنا أن نوازن بين الإسلام والمذهب الشيوعى ـ مثلا ـ فى قيامهما وشأنهما ، هالنا الفرق بين دين شعاره الإخاء والوحدة والأمان ، ومذهب يصطنع العداء بين الناس ويعتمد على التفاوت بين الطبقات ، ليثير الحقد والبغضاء فى نفوس بنى البشر ، وليقول لهذا أنت غنى ولذاك أنت فقير ، والغنى شر والفقر موت ، وليدفع الفقير إلى أن يقاتل بالسيف أخاه الغنى ليستحوذ على ماله وثروته ، يدلك على ذلك التاريخ ، فقد بدأت الشيوعية فى روسيا لأول مرة عام ١٨٨٣ حين شكل بليخانوف الجماعات الماركسية ، ومنها جماعة تحرير العمل التى تعتنق آراء ماركس وإنجلز الداعية إلى أن تسير الطبقة العاملة إلى أهدافها بالقوة والثورة ، وقد سبق ذلك صدور قانون تحرير رقيق الأرض عام ١٨٦١ فى عهد القيصر إسكندر الثانى بتأثير كتابات المفكرين ودعوتهم إلى الإصلاح ، من أمثال تولستوى وجوركى وبوشكين .

وفى عام ١٨٩٨ نشأ حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى فى روسيا داعياً إلى تعاليم ماركس ، وفى ١٩٠١ قام الحزب الاشتراكى الثورى . وفى عام ١٩٠٣ أنشأ لينين الحزب الشيوعى البولشفى ، ومن ذلك الحين ظهرت البولشفية مدرسة فكرية وحزبا سياسيا ينادى باستخدام القوة والعنف لخدمة أغراضه . . وخلال الحرب العالمية الأولى ـ وكانت روسيا تقاسى أهوال الحرب وويلاتها ـ أخذت الشيوعية تستخدم السخط العام لإثارة حرب الطبقات ، فقامت فى أوائل مارس ١٩١٧ ثورات وحروب أهلية مدمرة بين الطبقات ، وفى منتصف مارس قبض الشيوعيون

على القيصر نقولا الثانى ، وفى اليوم الثانى أعلنوا الجمهورية ، وأخذوا بعد ذلك فى ذبح الأغنياء ، واستصفاء أراضى كبار ملاك الأرض ؛ وتسليم المصانع والمناجم إلى العمال ، وقامت الديكتاتورية الشيوعية الطاغية فى روسيا ، وأخذوا يسلبون الملاك محاصيلهم ومتاجرهم ومصانعهم باسم الثورة ،حتى المنازل فى المدن ، ونفذوا مشاريعهم الاقتصادية بقوة السلاح والإرهاب ، وعاملوا طبقة الفلاحين الأثرياء «الكولاك» بدون شفقة أو رحمة كما يقول المؤرخون الروسيون(١) ، فحكموا عليهم بالموت أو بالتشريد فى سيبيريا وغيرها.وقامت المذابح الهائلة — باسم الإصلاح — فى كل مكان مما نبعت عن فكرة آمن بها الشيوعيون إيمانا عميقاً ، فكرة صراع الطبقات واستخدام القوة المسلحة للقضاء على خصومهم فى الرأى ؛ ويصور هذه الفكرة زعماء الشيوعية الروحيون والسياسيون ، ويقول ماركس وإنجلز : إن إن تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات(٢)،ويقول ماركس: صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملةالتى هى وسيلة لالغاء جميع الطبقات (٣) . .وهذهالنظرية يحاربها الإسلام حربا شعواء ، لأنها تفسد الأمن والسلام،وتقضى على الإخاء الإنسانى ، وتجعل بعض الناس أعداء بعض ، وتدعو إلى نهب بعضهم بعضا ، وتولد الشحناء والحقد فى المجتمع ، والنصوص على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وكلام الرسول ؛ بل إن صراع الطبقات لم تؤمن به أية جماعة فى عصور الجاهلية الأولى ، ولا يدعو إليه اليوم إصلاح ، فهذا هو الإصلاح العام فى الديمقراطية يسير بتلك الأمم إلى المساواة والعدالة الاجتماعية دون وجود صراع طبقى ؛ على أن مصالح الجماعات الإنسانية لا تعارض بينها على الحقيقة ، وإنما بينها التعاون والانسجام ، والإسلام يوجب أن يعيش الفقراء والأغنياء بعضهم بجوار بعض إخوة متحابين ، وقد دعا إلى التعاون التام بين الطبقات .

ولقد أعلن المؤتمر الشيوعى الأول الذى عقد فى موسكو فى ٧ مارس ١٠١٩ تأليف الدولية الشيوعية الثالثة (الكومنترن) لنشر الشيوعية فى العالم . وتحويل العمال فيه إلى شيوعيين ، وإثارة الاضطرابات ، وإيجاد القلاقل فى المحيط السياسى

---

(١) ٢٤و٢٥ الدستور السوفييتى لفؤاد محمد شبل — طبع القاهرة .

(٢) ٣٧ المرجع السابق . (٣) ص ٤٦ المرجع نفسه ، وصفحة ٧٤ نقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين طبع القاهرة ١٩٤٨

والاجتماعي والاقتصادي فى الدول ، تمهيداً لثورة الطبقة العاملة وسيادة الشيوعية بين الشعوب ، وقد ألغت روسيا الدولية الشيوعية فى ٢٢ مايو ١٩٤٣ ، تقرباً إلى الحلفاء ، ولكن الدولية الشيوعية الثالثة استعادت نشاطها الآن ، وهذا ما يبدو بعد إنشاء مكتب الاستعلامات الشيوعي (الكومينفورم) فى أكتوبر ١٩٤٧ وآثار ذلك واضحة فى إثارة الطبقات فى الشرق والغرب .

وكتاب « مشاكل اللينينية » ظل المرشد الأعلى فى شئون المبادىء والأفكار الشيوعية ، ولا يترك هذا الكتاب أثرا للشك فى اعتقاد ، مؤلفه ، فى أن من حق الكتلة العاملة المظفرة — الكتلة الشرقية — بل من واجبها المقدس أن تستخدم القوة فى إشعال نار الثورة فى البلاد الأجنبية إذا ما لاحت الفرصة لإشعالها ، وأن تستخدم القوة العسكرية إذا لزم الأمر ضد الطبقات المستقلة والدول التى تناصرها .

وحكم العقل والأديان عامة والإسلام خاصة على مبادىء ونظرية صراع الطبقات واستخدام القوة الثورية لإرهاب الشعوب المسالمة لا يخفى على إنسان .

إن الشيوعية لم تكن لتقوم لها قائمة فى بلادها لولا هذه المجازر الهائلة ، وعدد الضحايا الضخم لها فى بلادها ولولا سجون الاعتقال والنفى إلى مجاهل سيبريا ، والبطش بخصومها فى الرأى ، والتنكيل بمعارضيها فى الفكرة ، ثم لولا الدعاية والأموال الضخمة التى تبذل لنشرها .

أما الإسلام فلا يمكن أن يشك عقل فى أنه إنما قام على السلام والمحبة والرحمة والخير والتعاون بين الناس ، وعلى الصدق فى المبادىء ، والاقناع بالحجة ، وسمو مبادىء الدعوة وأهدافها واتجاه هذه الرسالة الإلهية إلى غرس بذور الوئام والوحدة بين جميع الأمم والشعوب ، وعملها لنشر الرفاهية والسعادة بين بنى البشر كافة .

الديمقراطية بين الإسلام والشيوعية

— ١ —

تصريف شئون الدولة على أساس نظام صحيح ، أو حكومة الشعب للشعب ، أو تكافؤ الفرص ، هو الديمقراطية التي لايتحقق لها وجود إلا بالمساواة التامة بين الناس ، والاعتراف الكامل بحقوق الإنسان ورعايتها ، والإيمان بالحرية الفردية ، وبأن الدولة وجدت من أجل الفرد ، وبضرورة إنماء شخصية الإنسان فى الحياة.

والديمقراطية لاوجود لها فى المجتمع الشيوعى ، فالحريات مصادرة ، والمساواة معدومة ، حتى فى الاقتصاد وأجور العمال ، واستبداد الدولة الجائر بالفرد لا حد له . والحكومة تسير على النظام الفردي الاستبدادى(١) ، ولست تجد هناك « مجتمعا عماليا » حتى ولا ديمقراطية اقتصادية(٢) .

أما فى الاسلام فالأمر على النقيض : حرية ومساواة وعدل بين الناس والحكومة شورية دستورية أساسها مشيئة الشعوب ، والحاكم مسئول عن أعماله ، وحقوق الإنسان فى الحياة والحرية والأمن والتعليم والتأمين الاجتماعى وسوى ذلك مصونة. إن الإسلام يؤمن بمبدأ حكم القانون ، وبحكم الشعب للشعب ، وبأن الحكومة وجدت لخدمة الفرد والعمل على رفاهيته ، وبالحرية الاقتصادية . وروحه التسامح وحرية الرأى للافراد والجماعات ، ومحاربة شتى ألوان التمييز بين الناس .. وذلك هو أساس الديمقراطية الحقة .

— ٢ —

والحرية ـ وهى دعامة الديمقراطية والحياة الانسانية المتحضرة ـ ليس لها قيمة كبيرة عند الشيوعيين ، لأنها فى رأيهم تلهى الجماعات عن الالتفات إلى الظلم

---

(١) ٤٢٣ الدستور السوفيتى (٢) ٤٨٠ آثرت الحرية .

الاقتصادى(١) ، الشيوعية تحاول تحقيق المساواة المزعومة بإلغاء حرية الإنسان ، فهى لكى تطعم الفرد تسلبه حريته .

حرية الفكر معدومة ، فالناس يفكرون على النمط الذى يعجب الحزب الشيوعى ، وليس هناك مجال لتفكير مستقل . وحرية الصحافة والنشر مقيدة ، ولا يباح دخول صحيفة أو كتاب أجنبى معاد فى فكرته للشيوعية(٢) . والحرية السياسية مفقودة ، إذ ليس هناك إلا حزب واحد وحاكم واحد وانتخابات صورية لاتنافس فيها . . والحرية الدينية معطلة .

والحرية الاقتصادية لاوجود لها ، فالمصانع والمزارع وأدوات الانتاج ومرافق الثروة ملك للدولة ، والفرد أجير عندها نظير إطعامه ، لا رأسمالية ، ولكن هناك الرأسمالى الأكبر الذى لا يقاوم وهو الدولة ، مما ينعدم معه التنافس الاقتصادى الذى هو أساس الحرية الاقتصادية . .

والحرية الشخصية محجور عليها ، لأن الحزب الشيوعى يهيمن على حريات الناس ، وسلطان البوليس السرى لاحد له ، وللقاضى أن يحكم بإعدام من يرى أنه خطر على الأمن العام ولو لم تقم الأدلة على ذلك ، والعامل فى المصنع لا يملك أية حرية ، وعليه أن يعمل ، لأن (من لا يعمل لا يأكل) ، وفى عام ١٩٣٠ صدر قانون ربط العمال بمصانعهم ، ومنعهم من مغادرة مكان عملهم إلا بإذن خاص ، وبعد ذلك بعامين صدر قانون بطرد العمال الذين يتأخرون عن العمل ولو يوما واحدا دون سبب كاف (٣) . وجاء فى قانون ١٩٣٩ للعمل أنه إذا تأخر العامل عن عمله أكثر من عشرين دقيقة فإنه يقدم إلى النيابة المحلية ويحاكم ، فإذا أدين حكم عليه بالسجن أو السخرة (٣) ، ونص على عقوبة الذين يتسترون على مجرمى التأخير ، ويجب على الفرد الحصول على إذن خاص لقضاء إجازة ولو يوماً واحداً بعيداً عن بيته ، والرحلة خارجة البلاد ممنوعة ولا يصرح بها إلا للمبعوثين فى مهمة رسمية ، وفرض عام ١٩٣٢ نظام البطاقات الشخصية التى تتضمن شتى المعلومات عن كافة الشئون التى يهم البوليس السياسى معرفتها عن الفرد ، والستار الحديدى

---

(١) ١١٩ المذاهب السياسية المعاصرة (٢) ٩٤ الشيوعية فى الميزان

(٣) ٩٨ الشيوعية فى الميزان

مطبق حول البلاد التي تدين بالشيوعية ، والشعب في عزلة تامة . وقد قام الشيوعيون في روسيا بحركات تطهير عامة كثيرة ، لإبادة خصومهم في الرأي ، وذهبوا بزعماء ومفكرين وكتاب إلى مجاهل سيبريا وسجون الأورال ومعتقلاتها ، ولكي تعرف كيف يعامل الشيوعيون معارضيهم في الرأي ، اقرأ ما يقول دافيدك نيقو ليفكسي في كتابه « لا شيء سوى سلاسلهم » : إن في روسيا اليوم ١٤ مليونا من العبيد فرضت عليهم السخرة ، ويعيشون في حظائر تحيط بها حواجز تعلوها الأسلاك الشائكة ، ويحرسها رماة يرابطون في أبراج مزودة بالأنوار الكشافة القوية ، وأسراب من الكلاب لمطاردة الفارين من الأرقاء ، وهم يؤدون أشق الأعمال وأخشنها وأفدحها ، وهؤلاء من الذين يعارضون الشيوعية أو ينقدونها أو يشتبه في أمرهم ، ومن رجال الدين الذين يعرقلون دعوة الالحاد(١) . وما أصدق ما يقول أندريه جيد : إن الشيوعية لا تؤمن بشيء اسمه الحق

فأين هذا من حماية الإسلام للحريات ، وإطلاقه لها وتحريمه الحجر عليها : لحرية الفكر والرأي ، وحرية التصرف والعمل ، والحرية الشخصية والحريات العامة وحرية الاجتماع والخطابة ، والحرية الثقافية والسياسية والدينية ، كل هذه الحريات قد قررها ودعا إليها وحماها الإسلام وكتابه الكريم ، وأبطل الإسلام الحكم الاستبدادي ، وأن الحاكم أو الدولة ظل الله في الأرض ، وليس للحاكم فيه أكثر مما للمحكوم ، يقول عمر لعامل له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ويقول : من رأى منكم في أعوجاجا فليقومه ، إن رأيتموني على باطل فقوموني ، ويقول الرسول : الإمام راع ومسئول عن رعيته .

ولقد حرر الاسلام الانسان من الجهل والجمود والفاقة ، وحرر المرأة من جور الرجل ، وساواها به في الحقوق والواجبات ، ودعا إلى تحرير الأرقاء ورفعهم إلى منزلة السادة ، وحرر الطبقات من طغيان المستبدين ، وحرر الروح الانساني من الشهوات والترف والمادة .. إنه بحق دين الحرية والكرامة الانسانية في الحياة

---

(١) ٩٨ الشيوعية في الميزان .

— ٣ —

والمساواة ركن من أركان الديمقراطية ، والشيوعية تزعم أنها تؤمن بالمساواة وتطبقها ، وتتخذ من ذلك وسيلة لدعايتها الجوفاء ، وتسرف فتدعى أنها تحقق للانسان المساواة الاقتصادية ، ولعل كلام ستالين فى خصومه عام ١٨٣٤ خير رد على ذلك ، قال : إن هؤلاء القوم يحسبون أن الشيوعية تستلزم المساواة فى مطالب العيش لكل فرد فى المجتمع ، ألا ما أسخفه من رأى يخرج عن فكر مشتت ، وإن المساواة التى نادوا بها هى التى أضرت بصناعتنا أكبر الأضرار » .. وبينما كانت الشيوعية تعمل لإلغاء الطبقات والمساواة فى الأجور ، إذ نحن نرى اليوم فى روسيا عدة طبقات متفاوتة الدخول ، وهى طبقة المفكرين وعددها نحو ١٣ ٪ من السكان ولها نحو ٣٢ ٪ من دخل الدولة ، وطبقة الصناع وعددها ٢٤ ٪ ولها من الدخول القومى ٣٢ ٪ ، وطبقة الزراع وعددها ٥٤ ٪ ولها ٣٣ ٪ من الدخول ، وطبقة المسخرين الذين لم يرضوا عن الشيوعية وعددها ٩ ٪ ولها فى الدخول ٣ ٪ . أما المساواة الاجتماعية فتتلاشى هناك رويداً رويداً ، فقد فرضت التحية العسكرية وأعيدت الرتب فى الجيش ، وأعيد لقب وزير بمجلس وزراء ، وزادت القلب ستالين وخلفاؤه . وسيطرة طبقة واحدة هى طبقة العمال على سائر طبقات المجتمع تفنيد لآرائهم النظرية فى المساواة.

أما المساواة فى الإسلام فحدث عنها ولا حرج ، مساواة كاملة بين الناس جميعاً ، بين المرأة والرجل ، والصغير والكبير ، والمحكوم والحاكم ، بين جميع الطبقات والجماعات ، بين الأغنياء والفقراء ، مساواة يحترمها الاسلام وكتابه ورسوله وخلفاؤه ولا تعرف أى لون من ألوان التمييز بين الناس ، حتى لقد كان الخليفة عمر يمشى وعبده معه راكب ، وولى رسول الله بلالا الحبشى على المدينة وفيها سادات الأنصار والمهاجرين ، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن ، وقال : ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ، وأذن الخليفة عمر لصهيب وبلال وسواهما من عامة الموالى بالدخول عليه قبل سادة قريش ، وألغى الاسلام الفوارق والامتيازات ، ووزع الحقوق والواجبات على الأفراد على السواء ، وصار الحاكم والمحكوم جميعا على قدم المساواة فى المسئوليات والالتزامات ، ويؤيد مبدأ المساواة فى الإسلام عدالة اجتماعية قوية أيدها ودعا إليها ، وتقوم على الأخوة والتكافل العام ، وأساسها التحرر الوجدانى

وتتخذ من الضمير البشرى والتشريع القانونى وسائل لتحقيقها وإذاعتها بين الناس . فأين هذا من الفلسفات الحديثة التى تتنكر لمبدأ المساواة ؟ .

— ٤ —

والشيوعية — التى تنزل خصومها فى الرأى منازل العبيد ؛ وتحبذ الثورة وصراع الطبقات ، وتعمل على إثارة القلق والاضطراب فى الجماعات والشعوب — لا تعرف معنى الإخاء ، فأين هذا من الإسلام الذى أكد الأخوة الإنسانية ؛ وألغى نظام الطبقات والعنصرية الكاذبة والعصبيات الحمقاء ؛ وجعل المؤمنين إخوة فى الدين ، والناس جميعا إخوة فى الإنسانية ، حتى الخدم جعلهم الرسول إخوان المخدومين . فقال : « إخوانكم خولكم » . . كل هذا فى عصر كان يرى — كما يرى أرسطو وأفلاطون من قبل — حرمان الموالى والصناع من الحقوق المدنية لانحطاط ما يمارسون من مهن ، وكما رأى أرسطو من ان الله أوجد البرابرة ليعيشوا أرقاء ، وسلب ثروتهم من الأعمال الشريفة .

كل هذا دليل على أن الإسلام أثبت قدما فى الديمقراطية ، وأصلح مذهبا وأعدل رأيا فيها ، وأقوم سبيلا إلى الإصلاح العام ، وأنه ما من دين أو مذهب يبلغ فى ذلك الباب ما بلغه الإسلام .

حقوق الإنسان فى الاسلام والشيوعية

حقوق الإنسان عند الشيوعيين مستمدة من الجماعة ، وإرادته جزء من إرادتها ، وليس للفرد كيان مستقل عنها .

تقرر الشيوعية للانسان حق العمل ، ولكنها تحجر على العامل وتربطه بمصنعه ، وتمنعه من تغيير العمل والمصنع . . وقوام نظام الأجور فى بلادها ، الأجر بالقطعة ، الذى تنفر منه نقابات العمال فى العالم.. والإسلام الذى شرع المضاربة والشركة والمساقاة والمزارعة والإجارة وسواها من أبواب العمل ، وحمى العامل ورعاه ، وحافظ على حريته وأجره ، وحث الناس على العمل ، إنما يهدف إلى القضاء على البطالة والفقر بين الناس .

وتقرر الشيوعية حق الراحة الأسبوعية للمواطنين . ونحن نعلم أن يوم الجمعة عيد أسبوعى للراحة والاستجمام فى الإسلام ، الذى يحترم أيام الراحة كذلك عند غير المسلمين .

وتقرر حق الضمان الاقتصادي بالحصول على تأمين مادى .. عند الشيخوخة أو المرض ، أو العجز عن العمل ، وقد سبق المسلمون إلى تطبيقه فى بلادهم منذ عهد بعيد ؛ فكان عمر يصرف للفقراء مسلمين وغير مسلمين حاجتهم من بيت المال — وكان يعتبر الأطفال عاجزين عن العمل ويفرض لكل مولود مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتى درهم ، فاذا بلغ زاده ، ويجعل أجرة رضاع الطفل ونفقته من بيت المال، وكان يقسم مافى بيت المال على الناس بحسب بلائهم فى الإسلام ، حتى استغنى الناس وأبوا أخذ الصدقات ، ولم يوجد فقراء فى عهد عمر بن عبد العزيز يأخذون الزكوات ، فاشتريت بها رقاب وأعتقت ، ورأى بن الخطاب فى طريقه إلى دمشق قوما مجذومين من النصارى ، فأمر أن يجرى عليهم القوت من بيت المال . على أن نظام الضمان الإجتماعى لم يبلغ فى روسيا ما بلغه فى شمال أوربا وأمريكا .

وتقرر الشيوعية للانسان حق التعليم ، وقد سبقها الإسلام إلى ذلك منذ أجيال ، ويؤثر عن رسول الله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، وكان التعليم مجانيا فى شتى مراحله فى بلاد الإسلام ، مع صرف الغذاء والكساء للطلاب .

وتقرر حق المرأة فى التساوى مع الرجل وهو حق سبق به الإسلام .

إن الإسلام ليحمى حق الإنسان فى الحياة والحرية والعدالة والإنصاف والمساواة والأمن ، وحقه فى التعليم وحقه فى الحكم الدستورى ، وفى كل جانب عادل من جوانب الحياة .

حرية وإخاء ومساواة

١ — حرية العقل والفكر والرأى ، وحرية التصرف والعمل ، والحريات العامة ، والحرية الشخصية ، كل هذه الحريات قد كفلها ووعاها الإسلام وكتابه الكريم ، ولعلك قرأت كلمة عمر الخالدة لواليه عمرو بن العاص : « كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

لا يقيد الإنسان أى قيد من القيود ، ولا يحجر عليه رجال الدين ، ولا يحول بينه وبين التصرف أب أو جد مادام قد بلغ سن الرشد ، ولا يمنعه من التصرف فى ماله أحد إلا بأسباب شرعية ، وفى ظروف خاصة . لكل فرد أن يبدى رأيه فى سياسة الحاكم ويناقشه الحساب ، ولعلك أيها القارىء تذكر كلمات عمر المأثورة : « إن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم . وإنى وليت عليكم ولست بخيركم » ، بل لعلك تعرف مناقشة امرأة له فى فكرة تحديد المهور ، وردها عليه ، وقوله لها وقد ذكرته بالحق : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » ، والصلة بين الرؤساء والمرءوسين صلة الأب بأبنائه والراعى برعيته : « الإمام راع ومسئول عن رعيته » ، وأمور الناس تحكم بالشورى : « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، حتى حرية الدين الذى نص عليها القرآن الكريم بقوله : « لا إكراه فى الدين » مادام هذا الدين الذى يؤمن به الإنسان دينا سماويا صحيحا . أما الشرك والوثنية فلا يعترف بهما الإسلام لأنهما انتكاس فى الإنسانية ، وطمس للفطرة الإلهية ، وقضاء على كرامة الإنسان وعقله ووجوده الفكرى والروحى والأدبى والاجتماعى .

أين هذه الحرية الآن فى القرن العشرين ، عصر الكهرباء والذرة والعلم ؟ أين حريات الأمم السياسية وحريات الرأى والفكر والحريات الشخصية ؟ إنها أوهام وخيالات لا وجود لها فى كثير من الأحيان ، رغم أن المفكرين قد سئموا من الدعوة إليها ، ورغم حماية القوانين العامة للهيئات الدولية والأمم المتمدينة لهذه الحريات .

ليست الحرية فى الإسلام حرية فى الهدم ، ولكن فى البناء ، إنها الحرية التى لا يحدها شىء إلا توجيه الضمير ، ورقابة الروح الدينى فى النفس ، ونزعات الفطرة الإنسانية فى الانسان .

حرية عامة شاملة تعم الحاكم والمحكوم ، وتشمل الشعوب الصغيرة والكبيرة ، ويطلقها الإسلام لكل مسلم ومسلمة ، وتتناول الشعب الفاتح والشعوب المغلوبة على أمرها على السواء ، فأين هذا من الحرية عند الغرب ؛ التى لا يتمتع بها إلا السادة المستعمرون ، أما الشعوب المستعبدة فتعيش فى أشد استعباد ، وأفظع ضغط على حريات الناس الخاصة والعامة فيها .

٢ — وأما الإخاء فى الإسلام فهو إخاء عام شامل ، المؤمنون جميعا بل الناس كافة إخوة فى الله وإخوة فى الإنسانية ، « إنما المؤمنون إخوة » ، حتى الخدم جعلهم رسول الله صلوات الله عليه إخوان المخدومين ؛ فقال : « إخوانكم خولكم ».. ألغى الإسلام نظام الطبقات ؛ وألغى العنصرية الكاذبة والعصبيات الحمقاء ، وألغى نظام الألقاب « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، « والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « ومثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد » ، « الناس من آدم وآدم من تراب » . . الحسب والنسب والمال لا تغنى عن الإنسان شيئا . وهل فى ذلك أبلغ من قول رسول الله صلوات الله عليه لابنته : « يافاطمة اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا » ، وقوله صلوات الله عليه : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . فأين هذا مما تعمله أمريكا الديمقراطية فى رعاياها اليوم : البيض لهم كل شىء فى الدولة ، والزنوج السود لا حق لهم على الإطلاق ، بل ليسوا مثل أولئك فى البشرية وفى الكرامة الأدبية فى الحياة ؟ .

٣ — وأما المساواة فى الإسلام فهى مساواة كاملة ، بين المرأة والرجل والصغير والكبير ، والمحكوم والحاكم ، بين جميع الطبقات والجماعات بين

الأغنياء والفقراء . مساواة لاتعرف فيها ظلما ولا عنتا ولا آثاما ، القانون الإسلامى يشمل الجميع لافرق بين إنسان وإنسان ، والعدالة تطبق على الجميع بلا محسوبية ولا استثناء ، يقول رسول الله : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » — ووزعت الحقوق والواجبات على الأفراد على حد سواء ؛ وفتح الاسلام آفاق الوصول إلى أسمى الغايات أمام المتنافسين من كل جنس ولون وأمة ، حتى لقد ولى رسول الله بلالا على المدينة وفيها سادة المسلمين من الأنصار والمهاجرين ، وبلال عبد حبشى اشتراه أبو بكر وأعتقه ، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وهو من صميم الفرس ، فلما مات أسندها إلى ابنه . . ويقول رسول الله فى سلمان الفارسى الأعجمى : سلمان منا أهل البيت .

وقد سار خلفاء محمد على نهجه فى المساواة التامة بين الناس والمسلمين كافة ، قال الحسن البصرى : حضر إلى باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام ، وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرءوس ، وصهيب وبلال من أولئك الموالى — أى الذين كانوا عبيداً قبل الاسلام ، وهم من عناصر غير عربية — وقد شهدوا بدراً ، فخرج عمر لأولئك الموالى وأخر السادة ؛ فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لايلتفت إلينا ؟! فقال سهل وكان رجلا حصيفاً : إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم دعى القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟

وألغى الإسلام الامتيازات الفردية والطائفية ، ومحى ما بين الطبقات من الفروق والحقوق والواجبات ، ووحد الشريعة ، وأخضع لها الكافة . لافرق بين حاكم ومحكوم فى عصر كان الناس فيه يؤمنون بأن الحاكم ظل الله فى أرضه . . عدالة تامة بين الجميع . حتى لقد شكا يهودى على بن أبى طالب فى خصومة ، فأحضرهما عمر أمير المؤمنين ، وقال عمر لعلى : قف يا (أبا الحسين)

بجانب خصمك ، فبدا التأثر على وجه على ، فقال له عمر : أكرهت ياعلى أن تقف إلى جانب خصمك ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيتك لم تسو بينى وبينه ، إذ عظمتنى بالتكنية ولم تكنه ؛ ورأى عمر رجلا وامرأة على فاحشة فجمع الناس وخطبهم وقال : مارأيكم إذا رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة ؟ فنهض إليه على قائلا : يأتى على صحة قوله بأربعة شهداء وإلا فيقام عليه حد القذف .

إن المساواة تامة فى كل شىء بين الناس عامة فى الإسلام ، مساواة فى الحقوق والواجبات وفى الكرامة وأمام القانون ، لأن الناس خلقوا متساوين فى حكم الله ، « لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح » ، « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول عمر : أما والله ماأرسل عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم ولاليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفسى بيده إذن لأقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله صلوات الله عليه يقص من نفسه » .

ويقول الشيخ محمد عرفه من كلمة له :

المساواة فى الإسلام مساواة بين البشر لافرق عنده بين أبيضهم وأسودهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وخاصتهم وعامتهم ، فكلهم لآدم وآدم من تراب . حتى العرب الذين هم حاملوه وناشرون له ، والذين كانت لهم ولاية الحكم لاامتياز لهم على غيرهم من الأمم « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، وقد قرر الإسلام مبدأ المساواة فى غير ماآية :

« ياأيها الناس إناخلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فهو يقول : إنه جعلكم شعوبا وقبائل للتعارف فكيف تجعلونه سببا للتناكر والعصبية الممقوتة الذميمة ؟ ! .

وقال : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام

إن الله كان عليكم رقيبا » . فهو يذكرهم بأنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ، فهم مهما بعدت ديارهم واختلفت أجناسهم وتباينت ألوانهم إخوة وذوو رحم، ولعل وصايته بالأرحام بعد ذلك وصاية ببنى الإنسان جميعا ، إذ قد أثبت لهم قبل ذلك قرابة ورحما .

جعل الإسلام المساواة مبدأ . وأخذ يصدر عنها فى كثير من الوقائع والأحكام ، قال قتادة : كان أهل الجاهلية فيهم بغى وطاعة للشيطان . فكان الحى إذا كان فيهم عزة ومنعة فقتل عبد قوم آخرين عبدا لهم قالوا لا نقتل به إلا حرا ، تعززا لفضلهم على غيرهم فى أنفسهم ؛ وإذا قتلت لهم امرأة قوم آخرين قالوا لا نقتل بها إلا رجلا . فأنزل الله : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى » . نهاهم عن البغى والعدوان وألا يقتلوا غير القاتل ، وألا يعتدوا على غيرهم فيقتلوا بعبدهم حرا، وبالمرأة منهم رجلا ، وبالحر الواحد منهم أحرارا كثيرا ، وأنزل لتقرير هذا المبدأ : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسن بالسن، والجروح قصاص » . وفى هذه الآية تقرير للمساواة فى النفوس والأعضاء والجوارح .

لقد سوى الإسلام بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وجعلهم سواء أمام الشريعة ، فالشريعة ماضية عليهم جميعهم .

روى أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالت قريش : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أى ليضع عنها الحد ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله ، فقال الرسول : أتشفع فى حد من حدود الله ؟! ثم قام فخطب فقال « ياأيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

هذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء فى الحدود فلا توضع عن شريف

لشرفه إذا ارتكب موجبها ، وبين الرسول أن التفرقة بين الضعفاء والشرفاء فى الحدود كانت العلة فى ضلال الأمم السالفة .

ويقول عبد الرحمن عزام يصف المساواة فى الإسلام من كلمة له :

«أشير إلى معنى أساسى من معانى الإسلام هو من أعظم مبادئه فى مقاومة الشرور الاجتماعية ، ذلك هو مبدأ المساواة الذى يسيطر على تصرفات المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم ، فالمسلمون جميعا عباد الله يسعى بذمتهم أدناهم وأفضلهم عند الله أتقاهم .

ذلك المعنى متى رسخ فى أذهان الملوك والأمراء والحكام ، والعامة والفقراء والأغنياء والملاك والعمال كما يريده الإسلام ، استحالت معه الفرقة الاجتماعية وما يترتب عليها من حسد وبغض وخلاف وشر ، ثم قتال وفساد للمجتمع بتسلط الأقوياء على المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا أقوياء .

إن مبدأ المساواة شائع الآن بشرائع مصطنعة ومظاهر فى القول والقانون، ولكنه لم يستقر فى النفوس والضمائر ، ولم يختلط اختلاطا كليا بجميع مصادر الحياة ومواردها كما هو فى الإسلام .

فالمسلم يحس فى قرارة نفسه أنه مساو لخادمه ، وأن الخادم قد يكون أفضل منه عند الله ، ويخشى أن يصيبه شك فى هذا مخافة غضب الله الذى خلق الناس من نفس واحدة متساوين أحرارا .

فالمساواة بهذا المعنى العظيم هى أكبر الضمان ضد الشرور والآفات الاجتماعية التى زلزلت الأمم ، والتى قد تكون أساسا لأكثر هذه الحروب المهلكة للبشر .

فالديمقراطية الإسلامية التى هى أساس الحكم الصالح والحياة السعيدة ، هى ديمقراطية لاشبيه لها ، وليست المظاهرة الخادعة من أشكال الحكم على تنوعها بواجدة مثل تلك الديمقراطية . فإن أساسها فى الضمير ، فلو أنها استقرت

فى الحياة الحالية واتخذت سبيلها الذى أراده الإسلام ، لكانت كفيلة بالقضاء على أعظم مصادر الشر وآفاته الاجتماعية » .

والفروق الطبيعية بين الناس من الذكاء والحسب والجاه والمال والعلم ، حاول الإسلام تخفيف أثرها ، بتقريب الطبقات بعضها إلى بعض ، وباشتراكية الإسلام العادلة فى الزكاة والضرائب وأموال المسلمين وردها على الفقراء ، وصرفها للمساكين ، ومما فرضه الإسلام على العالم أن يرشد الجاهل ، وعلى الصحيح أن يواسى المريض ، وعلى الغنى أن يعطف على الفقير ؛ وعلى الكبير أن يرحم الصغير .

حرية وإخاء ومساواة لم يعرف للإسلام فيها نظير أو شبيه ، لأنه دين الحق والبينة والإخلاص ، الدين الذى جاء لإنقاذ البشرية والنهوض بها من الذلة إلى العزة ، ومن الجهل إلى العلم ؛ ومن الفقر إلى الرخاء ، ومن البداوة إلى الحضارة ، حتى لقد قال برنارد شو : لابد أن تعتنق الإمبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن ، ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر ، لقاد العالم إلى السلام والسعادة المنشودة .

وقال توماس كارليل : « لقد أصبح من العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر ، أن يصغى إلى مايقال من أن الدين الإسلامى باطل ، وأن محمدا خداع ومزور ، وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل تلك الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول الكريم ؛ ما زالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا » : وقال تولستوى « إن النبى محمدا من عظام الرجال المصلحين ؛ ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى الحق ؛ وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام » .

ليست الثورة الفرنسية ، ولا مبادىء عصبة الأمم ، ولا مواثيق هيئة الأمم المتحدة ، ولا قرارات لجنة حقوق الإنسان ، هى التى أذاعت هذه المبادىء ، ولكن الذى سبق فأذاعها ونشرها وطبقها تطبيقا سليما قويا عاما ، هو محمد وشريعته الإسلام ، الدين الخالد الكريم من نحو أربعة عشر قرنا من الزمان .

الاشتراكية فى الاسلام والشيوعية

— ١ —

يستخدم لينين الاشتراكية والشيوعية بمعنى واحد ، أما ماركس فيطلق على نظام الإنتاج الموزع- مع توزيع حصيلته وفقا لنوع وكمية العمل المنجز- المرحلة الأولى للشيوعية ، ولم يسمه بالاشتراكية ، وأطلق على النظام نفسه الذى توزع حصيلته وفقا لحاجات الأفراد « المرحلة العليا للشيوعية » .

والاشتراكية - اقتصاديا - تنادى بالملكية المشتركة لأدوات الإنتاج مع اعترافها بدور النقود والأجور ، شعارها : « من كل وفقا لمقدرته وإلى كل وفقا للعمل المنجز » .

أما الشيوعية نظريا فمبدؤها «من كل وفقا لمقدرته ، وإلى كل وفقا لحاجته» .
فالشيوعية تقول بحصول الفرد على نصيب فى الإنتاج طبقا لحاجته ، والاشتراكية تجعل ما يخصه جزاء على الخدمات التى يؤديها[١] . وينكر الاشتراكيون « صراع الطبقات» وفكرة الثورة كوسيلة لتحقيق مبادئهم[٢] ، من حيث يؤمن بها الشيوعيون ، وبمبدأ إلغاء الملكية الفردية وتأميم جميع المؤسسات ووضع أموال الأمة فى يد الحكومة ، والقضاء على التجارة الداخلية، وقيام نظام السلع مقابل بطاقة يقدمها الفرد للحصول على حاجات معيشته ، وتطبق نظام الأجور الذى وضعه لينين ، وتحتكر الدولة وحدها التجارة الخارجية ، وتهيمن على النظامين النقدى والمصرفى ، وتطبق الملكية المشتركة بمنح الفلاحين الأرض على سبيل الإعارة المؤبدة يستغلونها على أساس تعاونى ، والعامل وحده له حق الحصول على دخل . ولما فشلت الشيوعية فى

---

(١) ١٩٦ النظام الاشتراكى — البراوى ١٩٥١ .
(٢) ١٩٨ المرجع .

توزيع الأجور وفقاً للحاجة أخذت توزعها وفقاً للانتاج . . وهذه المبادىء فيها مغالاة شديدة ، مما يجعلها جوراً اقتصادياً لاحد له ، وخنقاً للحريات قاتلا.

— ٢ —

إن الاشتراكية أنجح من الشيوعية فى علاج الفقر والبطالة . وهى تؤمن بالديمقراطية وحرية الفرد مما يتلاقى مع مبادىء الاسلام الكريم الذى هو دين اشتراكى حقاً ، بل هو المثل الأعلى للاشتراكية السليمة .

الاشتراكية فى الاسلام هى العدل والتعاطف والتكافل الاجتماعى ، وهى الايثار والتضحية لخير الجماعة ، وهى من الناحية المعنوية تدعم الحرية الفردية وتؤمن بالضمير الانسانى ، ومن الجانب الاقتصادى تهدف إلى مقاومة الاستغلال فى شتى صوره ، ومن الناحية السياسية تدعو إلى الديمقراطية والشورى وحرية الرأى والمساواة ، ومن الناحية الاجتماعية تقاوم الفقر وتجعل الغنى وظيفة اجتماعية تناط بها حقوق يجب أن تؤدى ويجب على الدولة أن تراقب أداءها ، ومن حيث الوسائل تنكر الثورة صراع الطبقات وتحرص على الأمن والسلام بين الناس ، ولا تجعل الملكية والمال وسيلة للتمييز بين الناس ، وتحمى حقوق العامل والفقير والرقيق والخادم والمرأة ، وتعمل للإصلاح العام والتعاون المثمر وتقرر التأمين الاجتماعى للفقراء والعاجزين ، وتفرض الزكاة ضريبة لمحاربة الفقر ، وتحرم الربا والاستغلال والاحتكار فى شتى صوره والترف والاسراف ، وتحد من غلواء الرأسمالية . وتكره التفاوت المادى بين الناس ، حتى لقد آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين ووزع فىء بنى النضير على المهاجرين الفقراء ، وتوصى بالاحسان والصدقة ، وتفرض نفقة الأقارب المحتاجين على ذويهم الأثرياء القادرين على الكسب ، وتشرع نظام الوقف والوصية والقرض والهبة والوديعة والاعارة ، وتقرر فريضة الميراث ، وتنهى عن الكسب الحرام ، وتجعل الزوج مسئولا عن زوجته والأب عن أولاده ، وتحض على العمل وعلى إيجاده ، وتحترم العامل

وحقوقه ، وتسوى بينه وبين صاحب العمل ، وتحافظ على الملكية الخاصة ، وتقيم بجانبها ملكية عامة كما فى أرض الوقف والأراضى الخراجية ، وتوصى بالفقراء وبالتكافل الاجتماعى ، يقول الرسول : أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى .

وقال ابن حزم : فرض على الأغنياء فى كل بلد أن يقوموا بفقرائها ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ولا فىء سائر أموال المسلمين ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس فى الشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم .

وتسلم اشتراكية الاسلام بمبدأ الضرائب التصاعدية ، مما يظهر لك فى نسب ضريبة الجزية ، وتراعى صاحب الأسرة ، فقد جعل الرسول للأعزب سهما من الغنيمة وللمتزوج سهمين[1] ومنع على بن أبى طالب الحجز على الضروريات وفاء للضريبة[2] ، وتسلم برقابة الدولة على الملكية بتقريرها مبدأ « من أين لك هذا ؟ » الذى طبقه العمران ، وأبى عمر أن يقسم أرض العراق حتى تبقى ملكا للمسلمين عاما . هذه هى الاشتراكية بأوسع معانيها وأصدق مدلولاتها .

والجشع الاقتصادى بكل مظاهره شىء لايعرفه الاسلام ، ونظام الربا الذى أصبح متغلغلا فى جميع فروع حياتنا نظام فاسد لايليق بالانسانية فى القرن العشرين ، وجدير بالأمم أن تفكر فيه من جديد ، وان تخطو خطوة حاسمة لانقاذ العالم من ويلاته . والشركات التى تقوم على نظام الربا ، لابتزاز أموال الشعب ، شركات لايقرها الاسلام الكريم . إن روح الجماعة وتيسير سبيل الحياة لكل إنسان ، لهما الينبوع الذى تخرج منه كل الأفكار الاقتصادية السليمة فى الاسلام . وأساس النظرية الاقتصادية فى الاسلام : اعط المال لغيرك ليهيء لنفسه الفرص الطيبة فى الحياة ثم استرده منه . وعلى هذا الأساس كانت شتى المعاملات الاسلامية الكريمة ، وما أجل مايقول الله تعالى : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

---

(١) ١٧ الإدارة الإسلامية ـ كرد على ـ ١٩٣٤ القاهرة (٢) راجع ٣٨ المرجع .

أمثلة من اشتراكية الاسلام

الزكاة :

فى السنة الثانية من الهجرة فرضت شريعة الزكاة ، وهى جزء قليل يخرجه الغنى من ماله الكثير ، فيجبر به قلوبا كسيرة ، ويسد حاجة من ضعف عين القيام بحاجة نفسه ، ويرفه عن الفقراء والمحرومين ، ومقدار نسبتها فى الغالب لا يزيد عن اثنين ونصف فى المائة .

وما أجل قول الله تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وقوله فى وصف المؤمنين : « والذين هم للزكاة فاعلون » وقوله « أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون . فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ، وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فألئك هم المضعفون » . وقوله تعال « وأنفقو مما جعلكم مستخلفين فيه » . وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيض كثير من تأكيد شريعة الزكاة وتقريرها وإيجابها على الأغنياء للفقراء .

وهذا الركن الكبير من أركان الإسلام ، هو رسول السلام ، وداعى المحبة والتعاون والعطف بين الناس . والمقوى للروابط بين الأفراد والطبقات ، والمستل لأحقاد النفوس وأضغانها . والمقرب بين القلوب : لتصير الأمة كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . الزكاة أجل إصلاح اجتماعى أتت به شريعة إلهية ، وأكبر دعوة إلى التعاطف والتساند والتماسك بين الناس ، وهى وما حبب فيه الإسلام من الصدقة والإحسان ، ورعاية الفقير وإكرام الجار ، وقرى الضيف وابن السبيل ، أعظم حل عملى لأعظم مشكلة عالمية استفحلت اليوم ، وهى الشيوعية ودعوة الشيوعيين .

ولما مات رسول الله صلوات الله عليه ، كانت القبائل العربية ، لاتزال بحمقها

وجاهليتها غاضبة ناقمة على الإسلام وشريعته فى الزكاة ، فارتد الكثير منها عن الإسلام ؛ فصمم أبو بكر على محاربة هؤلاء المرتدين مهما كان ، وهو يقول : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

ونهض بنفسه لحرب المرتدين حتى أصاخوا لدعوة الاسلام ، وأدوا لأبى بكر زكاة أموالهم التى كانوا يؤدونها لرسول الله .

رحمك الله ياعمر ، لقد سبقت العالم المتحضر إلى ما يعملون ، فقد كنت تصرف للفقير من بيت مال المسلمين طعامه وكساءه وغطائه ، وكنت تحمل على ظهرك القوت لتذهب به إلى من تستطيع الذهاب إليه من الفقراء .

إننا نطالب الحكومة بأن تفرض الزكاة فرضا ، وأن تجمعها من الأغنياء بقوة القانون ، وأن تصرفها فى مصارفها التى أمر الله ورسوله محمد صلوات الله عليه . فالزكاة ركن كبير من أركان الإسلام ، وفيه علاج حاسم لأمراض المجتمع ، وتقريب كبير بين طبقات الأمة ، وتعاون مثمر بين الأغنياء والفقراء ، ورفع لمستوى الأمة الاجتماعى ، ودواء لأهم مشكلة من مشاكلنا العامة ، ألا وهى الفقر .

وإخراج الزكاة وتقديرها موكولان إلى ضمير المسلمين ودينهم وهم المسئولون عن ذلك أمام الله وأمام المجتمع والناس . . . ولكننا أصبحنا الآن فى زمن مادى يتحلل من شريعة الله ؛ ويعصى أوامر الله ، ويجد الزكاة مغرما ، بعد أن كان أسلافنا الأولون يعدونها مغنما كبيراً ، لما فيها من كسب رضاء الله وثوابه ومضاعفة الأجر عليها ، ولما فيها مع ذلك من حيازة رضاء الملائكة والناس ودعوات الفقير واليتيم والمسكين ، ولما فيها من قضاء على الإجرام والنهب والسرقة والاعتداء على أموال الأغنياء ، وصدق الله العظيم حين يقول : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا تربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » .

وجباية الزكاة فرض على المسئولين اليوم ، بعد أن أصبح أغنياؤنا لا يعبأون

بهذا الركن الخطير من أركان الإسلام ، ولنا فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أسوة حسنة حين حارب الذين منعوا الزكاة حتى أفاءوا إلى دين الله وشريعته ، وأدوها كما كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إننا نرى أن تؤلف لجان فى كل قرية ومدينة بقرار وزارى ، من أعيان المسلمين ومن العلماء فى هذه الجهات . وتتحرى هـــذه اللجان الحق والصدق فى عملها ، وتشرف على جمع الزكاة بشتى أنواعها من الأغنياء على صرفها وعلى مستحقيها من فقراء المسلمين ، على أن لا تخرج زكاة قرية أو مدينة منها ؛ بل تصرف فيها على فقرائها ، وتكون هـــذه اللجان مسئولة عن أعمالها أمام القانون والحكومة .

وبهذا نضمن تحقيق غرضين شريفين :

الأول : التحقق من أن كل غنى دفع الزكاة الواجبة عليه كاملة غير منقوصة .

والثانى : التأكد من وصول الزكاة إلى مستحقيها من الفقراء والمساكين .

الإسلام يحارب الفقر

يحارب الإسلام عدواً لدوداً للإنسانية كافة ، هذا العدو هو الفقر ، الذى كثيراً ما يكون سببه سوء توزيع الثروة بين الناس ، أو الجهل باستنباط الثروة واستغلالها ، أو جدب الأرض وقلة خيراتها .

ولقد نظر محمد صلوات الله عليه إلى مشكلة الفقر باهتمام شديد ، وسعى بنجاح تام إلى القضاء على هذه المشكلة ، بعقل المشرع وحكمة المصلح وإلهام الرسول ، مع صعوبة التغلب على الفقر فى بيئة كبيئة الصحراء ، وفى مجتمع لايعرف إلا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الأغنياء والفقراء .

كان الناس ينظرون إلى المال على أنه هو الوسيلة لحياة الرفاهية والترف ، ولاستعباد الفقراء ، وتسخير الضعفاء ، فحارب محمد صلوات الله عليه هذه الفكرة الخاطئة ، وأعلن أن المال هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ، ومواساة المنكوب وإغاثة الملهوف ، وإطعام الجائع وكسوة العارى وإسعاد الناس . وهو وديعة الله فى أيدى الأغنياء ، ومال الله استخلفهم عليه ، وجعل من سنة الإنسان المهذب فى الحياة الإيثار لا الإثرة والإعطاء لا الأخذ ، والقناعة والرضا والشكر ، لا الجشع والطمع والسخط والجحود .

وكان الأغنياء لايعرفون فى المال حقوق الله والفقراء والمساكين ، فطالبهم محمد صلوات الله عليه بما طالبهم به القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون » ، ونهاهم عن البخل والإمساك والشح والتقتير ، فقال صلوات الله عليه : « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ، وقال الله تعالى : « ومن يوق شح

نفسه فأولئك هم المفلحون » ، ومدح المؤمنين الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، وفرض حق الضيف وابن السبيل ، وجعل صلوات الله عليه البر واجبا ، والإحسان فريضة ، والصدقة شريعة اجتماعية ، والزكاة أمراً محتوما لمصلحة المجتمع كله . ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس ، وجعل أساسها الأسرة ، وفرض على الرجل حقوقا يؤديها من ماله لأسرته وأقاربه وأهله ، وطالبه بأن يرعى أبناءه حق الرعاية ، ويوفر لهم بعمله وجده وسائل الحياة الكريمة . وحث على القناعة والاقتصاد ، فقال صلوات الله عليه : « طوبى لمن قنع بالإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » وقال : « ماعال من اقتصد » .

وشرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات ، فدعا إليها الرسول صلوات الله عليه وحض عليها ونادى بها ، وسن كذلك تشريعات العمل والإجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعقود الشركات والمضاربة وسواها . لكى تتداول الأيدى المال ، ويعمل فيه الفقراء والأغنياء قصداً للربح والكسب الحلال ، ومن ثم حرم الإسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل ، وقرر محمد صلوات الله عليه حرمة المال فقال : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ودعا إلى اكتساب الأموال من طرقها المشروعة فقال : « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار » . وعمل على حفظ كرامة الفقراء ، ففضل صدقة السر ، وحض على ترك المن والأذى وكره السؤال وحرمه من غير حاجة ، وجعل اليد العليا خيراً من اليد السفلى ؛ وحبس محمد صلوات الله عليه الأموال — التى تؤخذ من الفىء ، والخراج ، والجزية والغنائم والعشر والركاز وسواها على مصالح الفقراء ، والتمكين لهم فى الحياة والمعيشة ، وحرر رقيق الأرض من العبودية ، وطالب باحترام حقوق الرقيق الذى أسر فى حرب مشروعة ، وبالعمل على تحريره ، كما حرر العامل والخادم والمرأة من القيود والأغلال .

ودعا إلى توزيع الثروة توزيعا عادلا بإخائه بين الأنصار والمهاجرين ، وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء في أموال الأغنياء ، وبدعوته إلى العمل وحضه عليه حتى يأخذ الفقير حظه الكامل في الحياة مع مرور الأيام ، وبتقسيمه العادل للميراث بين أولى الأرحام ، وبغير ذلك من أسباب التمكين للفقير والمسكين والمحروم ، ونهى عن كنز المال دون أداء حقوقه ، وكره الاستكثار منه والتكالب على جمعه . حتى قال رسول الله صلوات الله عليه لبلال : « الق الله فقيراً ولا تلقه غنيا » .

وحث على الجود والبذل والسخاء ، وكان صلوات الله عليه كما وصفه على : أجود الناس كفا ، وكما وصف فى حديث البخارى « فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة » وتقول عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا » . ودعا الناس إلى التعاون على دفع الضر عن الفقراء فقال : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » ، ونهى عن المحاباة فى كل شىء حتى فى اختيار الموظف ، فقال صلوات الله عليه : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً بمحاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله النار » . كما نهى عن الخيانة فى الأموال العامة فقال : « من استعملناه على عمل ورزقناه فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » — أى خيانة .

ولقد حبب محمد صلوات الله عليه الناس فى الكسب الحلال المشروع ، ودعاهم إلى استنباط المجهول من وسائل الثروات . وقال لهم : أنتم أعلم بشئون دنياكم . وجعل بيت المال فى خدمة الناس ، والفقير من بينهم خاصة ، ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الأموال ، وإنما كان يضعها فى بيته وبيوت أصحابه ، وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان له أموال الصدقات ومعيقب بن أبى فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغانم ، وكان حذيفة بن اليمان

يكتب لرسول الله صلوات الله عليه خرص ثمر الحجاز . وكان يتخير ولاته وعماله ويقتصد فى رزقهم ، فاستعمل عتاب بن سيد الأموى واليا على مكة ، وجعل رزقه كل يوم درهما ، وصالح صلوات الله عليه أهل فدك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء ، وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوى بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والإخاء بين الناس ، حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجدب الذى كان غالبا على جزيرة العرب .

وقد دعا صلوات الله عليه إلى اصطناع الأيادى عند الفقراء : « أكثروا من معرفة الفقراء ، واتخذوا عندهم الأيادى ، فإن لهم دولة ، قالوا : يارسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : « إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم كسرة أوسقاكم شربة أو كساكم ثوبا ، فخذوا بيده ثم امضوا به الجنة » ، وجعل الرسول الأكرم فى كل معروف وكل عمل صدقة فقال : « كل معروف صدقة ، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة ، وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان » ، ورفع الرسول صلوات الله عليه من منزلة الفقراء ، ولم يجعل المال أساسا للحكم على الأشخاص .

وقد قرر محمد صلوات الله عليه حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة ، وحارب الرق والاستعباد والاستغلال والفوارق الاجتماعية الظالمة بين الناس ، ورفع من شأن الفقراء والمستضعفين ذوى الكفايات والمواهب حتى بلغوا أعلى المنازل فى الدولة الإسلامية . كما قلب الأوضاع فى توزيع الثروات بين الناس وإنصاف الفقراء ، وفتح باب الأمل الواسع على مصراعيه أمامهم يدخلونه بقوة وعزم وكرامة وتفاؤل بالحياة .

وهكذا كان محمد صلوات الله عليه ، الانسانية فى أروع صورها ، والمثل الأعلى فى أمجد مظاهره ، والقائد المظفر الذى هدى الحياة وأخرجها

من الخوف والقلق والفوضى ، إلى الأمن والهدوء والاستقرار . وكانت حياته كلها كفاحا مجيداً فى سبيل الله والحق والمعروف ، وتقرير حريات الفقراء وكرامتهم ، وكانت جهادا صادقا وجهته الخير وإسعاد الناس ، ومن أجل ذلك توج هذا الجهاد بالنصر ، وهزت ذكرياته مشاعر الناس ، والجماعات والشعوب فى كل مكان وجيل ، ولا تزال هذه الذكريات حديث الدنيا ، ونشيد الحياة ، وفرقان البشرية الظامئة إلى نبع هذا الوحى المقدس ، والناموس السماوى الحكيم .

لقد استطاع رسول الله صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والأغنياء إخوانا متحابين متآخرين متعاونين . وأن يقيم فى المجتمع الإسلامى اشتراكية عادلة تؤمن بالمبادىء الروحية والمثل العليا ، وتجعلها أساسا من أسس الاقتصاد التعاونى الجماعى فى الدولة الإسلامية الناشئة ، واستطاع بما بذره من بذور الخير فى الأرض أن يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة ، والاضطراب والقلق بين الطبقات . . وكانت ثورة محمد الكبرى من أهدافها تحرير الإنسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف ؛ وكفالة حريته وحقه فى الحياة الهانئة الكريمة ، وهدم كل الصروح التى أقيمت ظلماً وبهتاناً بأيدى الإقطاعية والإقطاعيين الجائرين .

ولا تزال هذه المبادىء الكريمة ينطق بها كتاب الله وسنة رسوله ، ويقوم عليها تراثنا الروحى الخالد ، الذى يعد مفخرة من مفاخر البشرية ، فى نهضتها وتوثبها إلى الكرامة والحرية .

بين مبدأين ومنهجين

— ١ —

الاشتراكية لاتدعو إلى إلغاء الملكية الفردية ، وإن كانت ترى تأميم المرافق المتصلة بالخدمات العامة[١] . أما الشيوعية فلا تقر الملكية الفردية ، وكان ماركس يرى أنها أساس النزاع بين الطبقات ، وقد قام الشيوعيون بإلغاء الملكيات الخاصة ، وتأميم مصادرة الثروة فى روسيا ، ونفذوا ذلك بالقوة والعسف ، وجميع موارد الإنتاج والثروة فى يد الحكومة ، تنتج وتوزع . فهى صاحبة المصانع والمزارع والمتاجر والمناجم ومنازل المدن ، ويمنع القانون الشيوعى امتلاك سيارة للاستغلال التجارى ، وفى المادة الخامسة من الدستور السوفيتى : الملكية الاشتراكية إما أن تأخذ شكل تملك الدولة فتكون الثروة للشعب عامة ، أو شكل الملكية التعاونية أو الجماعية .. ومحاربة الشيوعية للملكية الفردية استتبع محاربتها للإرث وتحريمها له .

إن مبدأ إلغاء الملكية الفردية إلغاء تاما ينافى الفطرة الإنسانية ، وغريزة التملك فى الإنسان ، ويدعو إلى الخمول والكسل ، ويخالف تعاليم جميع الأديان ، وقد طبق ذلك فى المجتمع الشيوعى فى روسيا بقوة السلاح ، ثم أخذت الحكومة فى التراجع : فأباحت للمواطنين الامتلاك الشخصى للدخل الناتج عن عملهم ومدخراتهم ولأثاث البيوت والأمتعة والأدوات المخصصة للاستعمال الشخصى ، وأجازت للفلاح فى المزرعة المشتركة أن يملك حديقة حول منزله .

— ٢ —

أما الإسلام فقد شرع وحمى الملكية الفردية ، وأجاز لمن أحيا أرضاً مواتا بإذن الإمام ولو ذميا أن يملكها إذا كانت بعيدة عن العامر ، على أن يعمرها خلال ثلاث سنين ، وإلا أخذت منه ودفعت لغيره .

---

(١) ٢٠٠ النظام الاشتراكى .

ولا شك أن فى حماية حرية الملكية أمام الإنسان تحريرا له من قيود الوصاية الاجتماعية ، واعترافا بشخصيته وكرامته الإنسانية ، وإثارة لمواهبه الخاصة ، ودفعا له على تحمل مسئوليات الحياة .

لقد بعث محمدصلوات الله عليه إلى الناس كافة ، ومعه رسالة تضىء ظلمات الحياة ، وشريعة تقضى على الأغلال والعبودية ، وبين يديه دستور خالد يهدى إلى النور والحق والحرية والمساواة والعدالة والإخاء .

ولقد حرر الإسلام وكتابه الحكيم ورسوله الكريم المستضعفين فى الأرض ، ومحا الاستعباد السياسى والاجتماعى .. وقرر مسئولية الحاكم وأنه خادم الشعب ، وأن لا طاعة له على أحد إذا خرج عن طاعة الله .. وقرر أن أول واجب عليه كذلك حماية دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، وألغى الألقاب ونظام الطبقات الجائر ، وهدم الفروق الواسعة الظالمة بين الناس ، فكلهم لآدم وآدم من تراب : ولافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح ؛ وحرم الترف والفساد والاستغلال والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل ، وجعل لكل فقير حقا فى بيت المال ، فإن لم يكن فى بيت مال المسلمين مايسد حاجات الفقراء فحقوقهم يجب أن تؤخذ من أموال الأغنياء، التى كره الله كنزها ، وأنذر من يكنزها لإنفاقها فى غير مرضاة الله بعذاب شديد : «والذين يكنزون الذهبَ والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . وفرض الإسلام الخراج والجزية وزكاة الأموال لينفق منها على المساكين والفقراء ودعا إلى الورع والزهد فى مال الناس . وإلى ترك الإسراف فى التملك لأنه مدعاة للترف والهلاك والخروج عن حدود الفضيلة والعفة والدين ، وأعلن وحمى مبدأ تكافؤ الفرص أمام الناس جميعاً .

كل هذه المبادىء الكريمة تنبئنا برأى الإسلام فى الملكية :

فهو لا يعترف بملكية اقتطعها الحاكم من مال الأمة ومنحها لمن يشاء دون حساب ، ولا يعترف بملكية آلت إلى صاحبها نهبا واستغلالا للنفوذ أو سرقة خفية من أملاك الدولة ، أو تحت ضغط الحاجة الملحة المصنوعة ، ولا يعترف بملكية ملكها صاحبها بمال جمعه بشتى الوسائل غير المشروعة ، دون أن يؤدى منه حقوق الله والفقراء وزكاة المال .

وكل ملكية لا يعترف بها الإسلام يجب مصادرتها وضمها إلى بيت المال، ومن باب أولى يجوز ردها إلى الدولة عن طريق الشراء ، ليعاد توزيعها على الفقراء توزيعا عادلا. والفقراء هنا ليسوا عددا قليلا حتى لا يحسب لهم حساب ، وإنما هم الأغلبية العظمى من الشعب ، إن لم يكونوا الشعب كله ، ممن لا يجدون الغذاء والكساء وثمن الدواء .

ولقد أباح الإسلام مصادرة الأموال التى جمعها أصحابها من دماء الناس ظلما وبهتانا ، وهذا عمر بن الخطاب قد صادر أموالا كثيرة من ولاته على الأقاليم : كعمرو بن العاص وأبى هريرة والنعمان بن عدى وعامله على اليمن وعلى مكة والكوفة والشام ، ولقد كان خلفاء المسلمين وولاتهم وعمالهم يتعففون عن مال الدولة لا يمسونه ولا يقربونه ، فضلا عن أن يمتلكوا أرض المسلمين ، وكان رسول الله يحاسب ولاته حسابا عسيرا ، يسألهم من أين لكم هذا ؟ وولى مرة رجلاً على أموال الزكاة : فلما رجع حاسبه فقال الرجل : هذا لكم وهذا أهدى إلى ، فقال الرسول الكريم : ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدى إلى ، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فنظر : أيهدى إليه أم لا ؟

وهذا عمر بن عبد العزيز لما ولى خلافة المسلمين نزل عن أملاكه التى انتقلت إليه من أبيه بالإرث الشرعى ، ومزق كتب الإقطاعات بالضياع والنواحى ، وأبطل قطائع أهله وهم أولاد الخلفاء من بنى أمية وضمها إلى بيت المال ، ومزق ما معهم من وثائق بملكيتها . وكان أبوه عبد العزيز والى مصر للخليفة عبد الملك ابن مروان، فأهداه الخليفة أرض حلوان إقطاعا ، فلما ولى ابنه عمر بن عبد العزيز

الخلافة قدم مصرى عليه يطالبه برد أرضه التى أخذها أبوه منه ظلما فى حلوان، فقال عمر : تعال نحتكم إلى قاض من قضاة المسلمين ليحكم بيننا بما أنزل الله فإن لى فيها شركاء إخوة وأخوات لايرضون أن أقضى فيها بغير قضاء قاض ، وقام معه إلى القاضى فقعد الخليفة بين يديه ، وتكلم بحجته وتكلم المصرى ، فقضى القاضى للمصرى على الخليفة ، فقال عمر بن عبد العزيز : قد أنفقنا عليها ألف ألف درهم ، فقال القاضى : لقد أكلتم من غلتها بقدر هذا ، فاطمأنت نفس عمر ، وقال : وهل القضاء إلا هذا ؟ والله لو قضيت لى ما وليت لى عملا .

وهناك كثير من الملكيات قد امتلكت من الفلاحين الفقراء المدينين بطريق المزايدة ، وهو ملك فيه إثم وشبهة ، ولقد كان على بن أبى طالب وهو خليفة المسلمين ينهى عماله أن يبيعوا حاجيات الفلاح وأدوات زراعته وما يعيش عليه هو وأولاده لسداد ما عليه من دين أو خراج .

هذا حديث الملكيات التى يجب أن تصادر فى رأى الإسلام ، أما الملكيات الكبيرة الأخرى التى قد تتجوز فيقول قائلنا : إنها ملكت بطرق مشروعة لادخل فيها للاستغلال ولا لمجاملة الأقوياء ، فإن ردها إلى الدولة لتوزعها على الشعب وإن لم يكن واجبا لكنه جائز بحكم الدين ، فإن الله تعالى قد كره أن تكون الأموال ومصادر الثروة فى أيدى طبقة خاصة من الشعب، وهم الأغنياء وحدهم دون الفقراء . أفلا ترى إلى قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم » ، فنظام الثراء الفاحش والفقر الشديد لايقره الإسلام شريعة المدنية المهذبة والإنسانية الرفيعة .. إن الاسلام لايبيح إثراء أفراد بإفقار أمة ، ولا إسراف طائفة فى التملك بإشقاء مجتمع بأسره ، بل إنه يجيز الحجر على الأقوياء حتى لايسرفوا فى تملك الأرض ، فهذا عمر بن الخطاب يحجر على أعلام قريش من المهاجرين ، حتى لايخرجوا إلى البلاد المفتوحة يمتلكون أرضها دون الناس ، وكان يقول : « ألا وإن

قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حى فلا » .. وهذا معناه الواضح « تحديد الملكية » .

ويؤثر عن جابر بن عبد الله حديث ينص بصراحة تامة على أن مالك الأرض إما أن يزرعها بنفسه . وإما أن يتنازل عنها ولو بالهبة لغيره من الناس قال جابر : كان لرجال منا فضل أرض ، فقالوا نؤاجرها بالثلث أو الربع أو النصف ، فقال الرسول عليه السلام : « من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها إياه » أى ليزرعها بنفسه أو ليتنازل عنها ولو بالهبة لأخيه المسلم ، ولا يعطيها إياه مؤاجرة لأن ذلك مظهر للتعاون بين المسلمين .

إن الاسلام يقر مبدأ تحديد الملكية ، ليعيش المجتمع كافة بنعمة الله إخوانا وليتعاون الفقراء والأغنياء على خير الأمة وسعادتها ومجدها ، ولتتقارب الطبقات ، وتزول الفروق الواسعة بين الناس ، ويمحى من بيننا الفقر والجوع والعرى ، وليشعر الفلاح والعامل الزراعى بأنهما كغيرهما من الناس ، لهما الكرامة والحرية والحياة الطيبة الرغيدة ، وأن الحكومة التى تقوم على شئون الشعب تحرص على توزيع العدالة الاجتماعية بين المواطنين كافة دون تمييز أو استثناء . وما أصدق مايقول الرسول الكريم « أيما أهل عرصة ـ أى محلة ـ أصبح فيهم امرؤ جائعا . فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » ..

— ٣ —

وتقول لجنة الفتوى بالأزهر ، « إن من مبادىء الدين الاسلامى احترام الملكية .. وذهب أبو ذر إلى أنه يجب على كل شخص أن يدفع مافضل عن حاجته من مال مجموع عنده فى سبيل الله . أى فى البر والخير ، وأنه يحرم ادخار مازاد عن حاجته ونفقة عياله ..

ويقول المغفور له الشيخ الشناوى شيخ الأزهر الأسبق[1] : القرآن الكريم قد احترم الملكية الفردية وصانها ونظم انتقالها إلى الأبناء والمستحقين . وفصل

---

(١) من حديث له مع صحفى ـ مجلة الأزهر المجلد العشرون ١٣٦٨ .

القول فى قواعد المواريث وتحديد الأنصبة فيما تركه الوالدان والأقربون ، قل منه أو كثر . وبيان الوصية التى للمالك فى ماله لمن شاء . . مما يدل الدلالة الواضحة على حق الملكية لكل مالك وانتقال هذا الحق من بعده إلى ورثته من أبنائه وأقربائه . ولقد حمى الإسلام حرية التملك ودعا إلى احترامها ، فلكل فرد أن يقتنى من المال ما تمكنه من اقتنائه السبل المشروعة ، وليس عليه وراء ذلك إلا أن يؤدى الزكاة ، وله أن يتصرف فى هذه الأموال بما يراه وتبقى بعده تركته لورثته ، وحكم الإسلام فيمن يتأخر عن دفع الزكاة أو يرفضها معلوم وهو أخذه بتأدية هذه الفريضة بالتبليغ والدعوة إليها ، وإلا صودرت أموالهم بمقدار هذا النصيب المفروض .

الدين والانسان

الإسلام دين اشتراكى عادل ، وهو أرفع من الاشتراكية الحديثة فى مبادئه ونظمه وسلامة الاقتصاد فيه ، وما أصدق مايقول شوقى فى الرسول الكريم :

الاشتركيون أنت إمامهم   لولا دعاوى القوم والغلواء

ولكن الإسلام يخالف الشيوعية ، وهو معها على طرفى نقيض ، يخالفها فى مبادئها ونزعاتها وأهدافها كل الخلاف .

الشيوعية مبدأ اقتصادى ينزع إلى السيطرة على الشعوب ، والإسلام يكره السيطرة ويدعو إلى أخوة الأمم .

وهى فوق ذلك تخالف سنة الفطرة والاجتماع فى مبادئها وغاياتها ، وذلك ما يأباه الإسلام ولا يحبه .

وهى تثير النزاع بين الناس والطبقات ، وتحرض الفقير على الغنى ، بل هى مبادىء غريبة على العقل والمنطق السليم .

والشيوعية الحديثة ترتكز على دعائم كثيرة :

أولها محاربة الأديان ـ ومن بينها الإسلام ـ حربا لاهوادة فيها: لأن الأديان عامة تنكر مبادىء الشيوعيين ، ولأن الشيوعية تدعو إلى الإلحاد وعدم الإيمان بدين من الأديان ، وإلى فصل الدين عن الدولة ، وإلى غرس أصول الأخلاق الشيوعية فى نفوس الشبان لتصبح هذه الأصول وحدها دون ما سواها هى دين الفرد ، وليقضوا بهذه الأصول على تراث الإنسان الروحى والفكرى وعلى فطرته التى فطر عليها : من حب التدين والإيمان بدين سماوى شرعه الله لعباده ، بل إن المادة الرابعة والعشرين بعد المائة من دستور ستالين تنص على « حرية الدعوة اللادينية » ، وقانون عام ١٩٢٩ الذى أصدرته حكومة روسيا يفرض قيودا حاسمة على الهيئات الدينية ويعتبرها عملا غير مشروع .. وقوانين عام ١٩٣٩ تنص على :

١ — ضرورة تسجيل الجمعيات والمنظمات الدينية .

٢ — منع الهيئات الدينية من تشكيل أنفسها في جماعات تعاونية أو جماعية .

٣ — حظر الاجتماعات الدينية الخاصة ، واجتماعات المصلين ، واجتماعات الشباب والنساء والأطفال .

٤ — عدم السماح للهيئات الدينية بالاحتفاظ عندها بأي نوع من الكتب إلا ما يلزم فى المراسيم الدينية .

٥ — حظر بناء أمكنة جديدة لممارسة الشعائر الدينية .

ولم تغب نوايا الشيوعيين عن بال الكنيسة الأرثوذكسية الروسية عند قيام الثورة الشيوعية ، فلقد دعا رئيسها البطريرك « تيخون » فى رسالة له بتاريخ ١٩ يناير ١٩١٨ أبناء الكنيسة إلى « عدم الاشتراك بأى شكل من الأشكال مع الشيوعيين » .

وقد اضطهدت روسيا المسلمين فى تركستان وبخارى وسمرقند وفى كل مكان اضطهاداً شديدا ، ونفت الكثير منهم إلى سيبريا .

صحيح أن روسيا أعادت حرية المتدينين الدينية إليهم خلال الحرب الأخيرة وبعدها ، ولكن ذلك إنما كان ذرا للرماد ، وقضاء على دعايات الأمم الغربية ضدها ، وخوفا من أن يؤلب البابا القوى عليها ؛ وهى وإن أذنت للمسيحية فى بلادها بالعودة إلى الظهور ، فإن الإسلام لا يزال غريباً فى بلادها المترامية الأطراف .

ولا شك أن الإسلام يقف سدا منيعا أمام ذلك التيار الهدام المخرب الذى يريد أن يحطم كل شىء أمامه ؛ وأن يعصف بتراث الإنسانية الروحى ، وبالمبادىء السامية التى قامت ونمت وازدهرت فى روح التدين وفكرة الإيمان العميقة فى الإنسان .

والدعامة الثانية التى تقوم عليها الشيوعية : هى محاربة حرية الإنسان ؛ وإفناء شخصيته فى شخصية الدولة ، وجعله آلة مسخرة للحكومة مما يستدعى

إشاعة الاضطراب الاجتماعى وقيام الحروب والخصومات بين الطبقات والطوائف ، والقضاء على الأمن الداخلى للأمة .

وكل هذه الأمور يحرمها الإسلام ، ويحاربها بكل مايستطيع ، والمسلمون كافة يؤمنون بمبادىء الإسلام السمحة الكريمة ، التى من أخصها حرية الإنسان فى رأيه وعمله ، وإتاحة الفرصة أمام الانسان للتملك ؛ والتى لا تمنع أن يعيش الفقراء والأغنياء بجوار بعض إخوة متحابين . يقول الله تعالى فى سورة سبأ : « قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » ، ويقول عز وجل فى سورة الروم : « أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ، ويقول فى سورة الاسراء : « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ؛ ويكرر ذلك فى سور كثيرة ، مما يجعل المسلم يؤمن إيمانا جازما بأن ذلك أصل من أصول الاسلام ؛ ولا شك أن فى فتح حرية الملكية أمام الانسان تحريرا له من قيود الوصاية الاجتماعية واعترافا بشخصيته وكرامته الانسانية ، وإثارة لمواهبه الخاصة ليستغلها فى الحياة لكسب الرزق والمال من طرقهما الشريفة المشروعة ، وتمشيا مع نظام الحياة نفسها ، وسموا بالحياة البشرية الخاصة والعامة . وقد دعا الأغنياء إلى البذل والصدقة والاحسان ، وأداء الزكاة للفقير والمحروم ، وجعلها من أركان الدين ، وذلك نظام سليم يسير مع المنطق والفطرة والحياة وحرية الانسان ، ويحقق العدالة الاجتماعية بأسمى معانيها . إن مبادىء الاسلام والقرآن تغنى عن كل مبدأ ، وترتفع بالانسان ، والانسانية ، أكثر مما ترتفع بهما المبادىء الوافدة علينا . وما أصدق شاعرنا المعاصر الذى يقول :

قل للشيوعيين وأمثالهم رفقا بهذا الشرق فى مأساته
فوضى المذاهب فى بنيه تضارب لا يستقيم به نظام حياته
عودوا إلى القرآن أعدل مذهب وخذوا الحقيقة من لسان دعاته
فأقل ما يدعو إليه سعادة للعالم الملتاع من ويلاته
فضل الزكاة كفاية لفقيره لو يسمع المثرى نداء زكاته

الأسرة فى ظل الاسلام والشيوعية

— ١ —

للمرأة فى النظام الشيوعى « حقوق مساوية لحقوق الرجل فى كافة ميادين الحياة العامة : الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، لها ماله من حقوق، وعليها ما عليه من التزامات ، فهى مجبرة على العمل لتأكل ، لأن « من لا يعمل لا يأكل » ، وهى على قدم المساواة معه فى المنزل وخارجه ، ولها مطلق الحرية فى سلوكها الشخصى دون رقابة الزوج ، وتعمل فى المزارع والمصانع ، وهى نائبة وموظفة .

والزواج سهل ميسور ، يكفى أن يقيد الزوجان اسميهما فى سجلات الزواج المدنية ، وهما يعملان فى الصباح ، وتسلم الأم أولادها إلى ملاجىء الطفولة ، وعند عودتها للمنزل مساء تأخذهم معها ، ويشترك الزوجان فى شئون المنزل ، ولها إجازتها من العمل قبل الوضع وبعده ، ولكل منهما حرية الانفصال عن الآخر متى شاء .

وكل فتى راشد أو فتاة : مسئول عن نفسه ؛ لا يعتمد فى معاشه على أحد، يقبض أجره ويتصرف فيه ، وله أن يحمل اسم أمه أو اسم أبيه أو يستقل باسمه.

— ٢ —

هذا هو منطق الشيوعية ، أما الإسلام فآرؤه فى الأسرة مثل أعلى فى الإصلاح .

فقد كفل للمرأة جميع الحقوق المدنية والمالية والاجتماعية ، وأطلق لها حرية الرأى والتعبير، والحرية فى التعلم والتعليم وخدمة المجتمع ، وقرر حريتها الشخصية وكيانها المعنوى ، وساواها بالرجل فى الحقوق والوجبات ، والإسلام يجيز اشتراكها فى الشئون العامة ، وأن تشير وتستشار فيها ، وإن كان لا يخصصها

لذلك وحده حفظنا الانوثة وواجباتها .. وقد حرم الاسلام ألوانا كثيرة من رق المرأة كالزنا والبغاء ، وجعل صلتها بالرجل قائمة برباط مقدس هو الزواج الذى لا يتم إلا برضاها ، وجعلها راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعايتها ، وأوجب معاشرتها بالمعروف ، وجعل مهمتها الأساسية هى رعاية المنزل وتربية الأبناء والتعاون مع الرجل فى الحياة . . ونفقة المرأة على أبيها أوولى أمرها قبل الزواج ، وعلى زوجها بعده غنية كانت أو فقيرة ، فان لم يكن لها عائل فنفقتها من بيت المال ولها مهرها وحقها فى الميراث ، للأنثى نصف الذكر . . وقيد إباحة تعدد الزوجات والطلاق بقيود شديدة لأهداف اجتماعية سامية .

وآراء الاسلام فى المرأة والأسرة تنافى ماتذهب اليه الشيوعية ، فهو لا يبيح خروج المرأة لأن مملكتها البيت ، وهى ليست مسئولة عن معاشها فى نظر الاسلام ، وهو يجعل الزوج رقيبا على سلوكها ، يعهد إليها ـ لا إلى دور الحضانة ـ بتربية الأطفال ، ويخلق من الأسرة وحدة اجتماعية سليمة قوية . وآراؤه فى ذلك تتفق والعقل والدين والفطرة الانسانية وأصول الاجتماع .

رعاية الإسلام للأسرة

— ١ —

دعم الإسلام للأسرة :

الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأولى فى الأمة ، والنواة الصغيرة التى يتكون منها المجتمع الكبير .

ولم يغفل الإسلام الأسرة من حسابه ، بل لقد دعمها ، وقواها ، وربطها برباط مقدس شريف ، وبعث فيها الحب والتعاون والمودة والإخلاص .

أساس الأسرة المرأة والرجل ، وقد جمعهما الله عز وجل لغرض عظيم ، وفى ظل رابطة مقدسة ، هى رابطة الزواج .

والزواج شركة مقدسة جعله الإسلام قائما على رضا الزوجين ومحبتهما وتعاونهما « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .. ولا يتم عقد الزوج إلا بعد خطوات دقيقة ، الهدف الأول منها إعزاز المرأة ورفع مكانتها ، منها كفاءة الرجل وحده ، والتزامه بمهرها . وبنفقتها ، ونفقة أولادها ، وبحسن معاملتها ورعايتها .

فإذا وجد للأسرة بنون أو بنات فعلى الزوجين تعهدهم ورعايتهم وتأديبهم وتهذيبهم .

وعلى الزوجين أن يتصرفا فى مالهما تصرفا سليما ، يقيهما شر الفقر ، ويكفل لأولادهما قسطا من الرفاهية والحياة الطيبة .

وعلى المرأة أن تكون أمينة على مال زوجها ، وأن تحافظ عليه محافظتها على مالها .

وعلى الابن متى كان قادرا أن يقوم بشئون أبيه وأمه وأخواته الصغار ، ويعول أقاربه ويحسن إليهم جميعا ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

فإذا مات الزوج أو الزوجة ورث كل منهما الآخر فى بعض ماله ؛ ووزع الباقى على من يستحقه بفريضة الميراث ، وفق شريعة الإسلام .

ونهى الإسلام عن الوصية للوارث ، قال الرسول صلوات الله عليه : « لا وصية لوارث » . كما نهى عن الوصية لغير الوارث بأكثر من الثلث . وذلك لينتفع أكبر عدد من الأقارب بالميراث . ولتتوزع الثروات الكبيرة فتقل الفروق الاجتماعية بين الناس . فأين هذا من تشريعات أوربا التى تجيز أن تنقل ثروة الميت إلى الابن الأكبر وحده ، ويترك أخوات هذا الابن عالة على المجتمع وعلى أخيه ، وتجيز للرجل أن يوصى بما له كيفما شاء ولمن شاء ؟ .

فإذا كان الزوج قادرا ، ووثق من نفسه العدل والإنصاف أباح له الإسلام أن يجمع فى عصمته بين أربع زوجات .

وإذا تعسرت الحياة الزوجية ، واستحال الوفاق ، ولم يجد التحكيم ، أجاز له الإسلام الطلاق .. ويحرم الإسلام شتى أنواع العلاقات الجنسية الأثيمة : من زنا وبغاء ، ومصادقة ، ومتعة ، حفظا للأسرة ولكيانها المقدس . ويكفل الإسلام حرية الأبناء . ويساوى بعضهم فى المعاملة ببعض . ويفرض على الآباء القيام على رعايتهم وتهذيبهم وتوجيههم توجيها صالحا فى الحياة .

إلى غير ذلك مما شرعه الإسلام لتكوين الأسرة ، ودعمها فى المجتمع الإسلامى لتنظيم كيان الوطن الإسلامى ، والسمو به إلى الخير والحق والعدالة والطهر والشرف والإخاء .

الإسلام وحرية المرأة :

كفل الإسلام للمرأة جميع الحقوق المدنية وأطلق لها الحرية فى التعلم والتعليم وخدمة المجتمع ، وأعطاها حقوقها المالية والاجتماعية التى حرمتها الشرائع الأخرى منها . . واحتفظ لها بحريتها الشخصية وكيانها المعنوى ، وساواها بالرجل فى الحقوق والواجبات ، وأباح لها تولى القضاء ، وأعطاها حقها فى الميراث : للأنثى نصف الذكر ، بقدر أعبائهما المادية فى الأسرة .

وجعل للمرأة الحق فى أن تملك وتبيع وتشترى وتهب وتقبل الهبة وترهن وتوصى وتعقد باسمها العقود ، وتتصرف فى مالها بسائر ألوان التصرف ، دون حاجة إلى إذن زوجها أو ولى أمرها ولا يوزن الاسلام فى ذلك بأى تشريع حديث . فإن حالة المرأة فى فرنسا لا تزال حتى الآن أشبه بحالة الرق المدنى ، فقد نزع القانون منها صفة الأهلية فى كثير من الشئون المدنية ، فلا يجوز للمتزوجة بيع ولا شراء ولا هبة ولا رهن ولا وصية ولا أى عقد من هذا اللون إلا بإذن زوجها وتصديقه ، وفى أغلب القوانين الحديثة تفقد المرأة بمجرد زواجها اسمها واسم أسرتها ، وتنسب إلى زوجها وأسرة زوجها . وفقدان الاسم رمز وعنوان لفقد الشخصية المدنية باندماجها فى شخصية الزوج كما يقرر علماء القانون .

والاسلام يفرض نفقة المرأة على أبيها أو ولى أمرها قبل الزواج ، وعلى زوجها بعده ، غنية كانت أو فقيرة . فإن لم يكن لها عائل فنفقتها ونفقة أولادها من بيت المال .

وجعل شهادة المرأتين مساوية لشهادة رجل واحد ، لأن المرأة أكثر عاطفة وتأثرا وقبولا للإغراء ، فاحتاط الاسلام العدالة وضمانها أكبر احتياط .

ويقول رسول الله من خطبته فى حجة الوداع : يا أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا ،

وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا ، إنهن لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .

وقد حرم الإسلام ألوانا كثيرة من رق المرأة : حرم الزنا والبغاء وشتى ضروب المهانة التى تنزل بها ، ورفع كرامتها وجعل صلتها بالرجل مبنية على أساس رباط مقدس أباحه الاسلام وأكده ورعاه وهو رباط الزواج ، وجعلها راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، وأطلق لها حرية الرأى والتعبير حتى قال عمر : « أصابت امرأة ، وأخطأ عمر » .

وأوجب معاشرتها بالمعروف، واستوصى بالنساء خيرا . وجعل لها الحرية فى الرضا بمن تتزوجه ، وفى الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيبا فأتت رسول الله فرد نكاحها .

إن هذه الحرية التى أعطاها الاسلام للمرأة لا نظير لها فى أية شريعة من الشرائع ، وليست الحرية عنده إلا بالشرف والعفاف والكرامة المعنوية . . .

المساواة مطلقة بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات : والمرأة زميلة للرجل فى الحياة ، ولكن منطق العقل والدين جعل لها البيت وجعل على الرجل تحمل الأعباء العامة وإدارة شؤون الزراعة والتجارة والصناعة وشئون وطنه العامة ، والقيام بأعباء السياسة والادارة والحرب والأمن . . .

— ٣ —

الإسلام وتعدد الزوجات :

وقف كثير من الباحثين الغربيين حيال تعدد الزوجات فى الشرق موقف الناقم الساخر المتهكم ، وقالوا : لقد ظلم الشرق المرأة ، وهدم الأسرة ، وقوض دعائم الحياة الاجتماعية فيه ؛ بإباحة تعدد الزوجات ، مما كان سبباً فى تأخره وضعفه ووقوفه فى معترك الحياة الإنسانية جامداً أجيالا طوالا ، وكذبوا فيما قالوا .

لقد ذاقت المجتمعات الغربية الآلام التى لا نهاية لها من وراء تحديد الزواج بامرأة واحدة ؛ فانتشرت الرذائل الاجتماعية بينهم ، وقل وفاء الرجل لزوجته وإخلاص الزوج لزوجها ، واتخذ الرجل له صديقات واتخذت المرأة لها أصدقاء .

وشقى الرجل بتربية أولاد علم الله أنهم ليسوا بأولاده ، كما شقى بحرمانه من الزوجية الطاهرة السعيدة ، وكان هذا كله مثار أفكار جديدة جهر بها علماء الاجتماع فى أوربا . فنقدوا هذا الحجر الفاسد الذى أفسد الأخلاق ، ودعوا إلى التحرر من نيره الثقيل .

جاء الإسلام والحياة الزوجية فى فوضى جامحة لا تقيد الناس بعدد محدود من الزوجات . فقد يجمعون بين عشرات الزوجات ويجورون فى معاملتهن ومعاشرتهن ؛ فكان بين خطتين : فإما أن يمنع تعدد الزوجات منعاً باتا فيفرض الاقتصار على واحدة ، وإما أن يخفف وطأة هذا العدد الجامح . وينظم تلك الفوضى العائلية باتخاذ طريق وسط ، فلا يحرم الرجل من التمتع بأكثر من واحدة ويقطع التعنت والعزوبة . . وقد آثر الإسلام الاتجاه الثانى فأباح للمسلم الجمع بين أربع زوجات بشرط أن يعدل بينهن ، وألا يجور فى معاملتهن .

وكان المشركون قد ألفوا الزواج بعشرات النساء ، ورأوه ضرورة من

ضرورات الحياة ، فهل يطالبهم بالاقتصار على واحدة ؟ ذلك نشوز على أوضاع الحياة وضرورات الاجتماع ، وفيه الطفرة التى لا يؤمن معها من الهلاك ، ولو فعل ذلك لأوضعوا خلال المسلمين يبغونهم الفتنة ليطفئوا ظمأ الشهوة . وكيف يضع الإسلام قانونا يوقع الناس فى العنت والإرهاق . وهو دين البشرية الخالد وشريعة السماء الباقية ، وما منهجه فى التشريع إلا التدرج الطبيعى فى أمور الدين ، رفقا بالناس وسعيا بهم إلى الكمال الاجتماعى المنشود .

وحكمة ثانية لهذا التعدد الحكيم ، هى أن الإسلام يرمى إلى الإكثار من العدد ، وخير سبيل إلى ذلك هو إباحة التعدد ، وقد تكون الزوج عقيما لا تلد ؛ فلو ألزم الرجل بواحدة دون سواها انقطع نسله وذهب أثره . ولو قلنا له طلقها وتزوج سواها لكنا ثائرين على شرعة العدالة والوفاء ، ولأخرجنا المطلقة من حياة الزوجية إلى حياة تعيش فيها كلا على الناس ، ولو لم نقل بالتعدد لدفعنا بها إلى الفناء البطىء ولحببنا الفاحشة والرذائل إلى نفوس المحرومين من التعدد .

على أن عماد الأسرة فى الريف وغير الريف على أبنائها ، فهم الذين يديرون حركة البيت ويقومون بأعباء الأعمال ، وكلما كانت الأسرة أكثر عدداً كانت أقدر على تحمل مآسى الحياة ، وكلما كانت الأمة أكثر عددا تستطيع حماية الوطن والدفاع عنه .. ولهذا نحن فى حاجة إلى أن تسند الأسرة المصرية بالأيدى العاملة الكثيرة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإباحة تعدد الزوجات لمن يريد ، حتى يشعر الرجل بأن من ورائه أيادى تؤيده ، وسواعد تعينه على حمل أثقال الحياة وشدائد الدهر وآلام الكهولة .

لقد قضت الحرب الماضية على زهرة الشباب فى أوروبا فأصبحت الأمم تواجه أزمة خطيرة من كثرة النساء وقلة عدد الرجال ، ولا سبيل إلى علاج تلك الأزمة إلا بالرجوع إلى مبادىء الإسلام بإباحة تعدد الزوجات ، لحفظ النظام الاجتماعى وتيسير الحياة على الناس .

الدين نور للناس والبشر

(١)

عجبا ! أظن أولئك المتظاهرون بإنكار الأديان ، وهى حق لا ينكره إلا من بعقله خبل، أن ذلك معنى يبلبل الأفكار ويزحزح الأديان ويزعزع العقائد . تالله لقد كفروا بأنفسهم وضل سعيهم ، وما العقائد إلا معنى متأصل فى النفوس مركوز فى الفطر، لا يذهب إلا إذا انسلخ الفرد من إنسانيته ورضى أن يكون حيوانا بهيميا لا يفقه حديثا ولا يرقى منزلة ، ويومئذ تميد الأرض وتزول الجبال وتخلو الدنيا من القائمين بالأمر ، يومئذ لا يجد الناس قائما على شئون الناس فيهلك العالمون ؛ ويفنى الباقون .. حينئذ تذهب خلافة الله، وإذا ذهبت خلافة الله من الناس ، فقد قامت قيامتهم ولم يكن فيهم صلاحية للبقاء .

(٢)

يا عجبا ! من أولئك الذين يحاولون إنكار الأديان وفيها توازن الناس ، وفيها توجيه العالمين، وفيها تقاليد الفضائل ومقاييس الحياة الصالحة . وفيها الخير لهم لو يعلمون علم اليقين ، قالوا إن الأديان أفيون الشعوب ، والأفيون ماهم فيه من الترهات والافتعالات ، وأما الأديان فهى نور للناس تمشى بها . إن الأفيون هو تلك الشيوعية التى طالما ضللت الناس عن القصد وأغوتهم بالشهوات ، وهى السم الزعاف والمفرق لكلمة الناس والموقعة للعداوة والبغضاء ، لأنها لم تنظم على وفق ما رسمت الأديان . إن هذه الإباحية والتحلل إن نجحت فإلى حين قريب ، ثم يموج بعض الناس فى بعض ويبغى بعضهم على بعض ويرتفع الهدوء والسلام . ويذهب الحب والوئام لامحالة ، فالرغبات متعارضة والميول متضاربة إن لم يكن بعين الأفراد فبعين الشعوب ، ولا حكم بين الناس مثل الأديان التى خلت من الهوى وتجردت من كل معنى إلا إشاعة الحب بين الناس فى كل زمان وفى كل مكان ، « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويل

للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ـ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

(٣)

« فقل للذين يجادلون فى آيات الله : موتوا بغيظكم أو أريحوا أنفسكم ، فإن النفوس لا تحيا بغير الدين ولا تنقاد إلا لتقاليد البر والوفاء والصدق والإحسان والعدل ، ولا تحقيق لذلك فى معاييره السليمة إلا بالدين الذى جاءت به الرسل من السماء ، كما دل على ذلك أن توازن بين متدين وغير متدين ، إذا كان ذلك التدين بالمعنى الصحيح الذى يتمثل فى المعاملات والدقة فى تمثيلها ، وتحقيق صفات تلك الدقة من العدل والصدق والوفاء بالعهد والأمانة والنصح والوضوح والصراحة ، فأما تلك الطقوس الذى يأتى الناس منها بصورها لا حقائقها : كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، فلا معنى لها ، ولا يقيم الله لها وزنا حتى تحقق الغايات المطلوبة منها ، وهى خلافة الله فى الأرض والقيام بين الناس بالقسط كما يقول الله سبحانه : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

حقائق عن الشيوعية والدين (١)

— ١ —

النظام الشيوعى يسلب الفرد حريته ، ويضعه تحت الوصاية القاهرة والرقابة الشديدة التى تكاد تحصى عليه أنفاسه وتعد حركاته وسكناته ، والذين يعملون على إدماج بلادهم فى حظيرة الشيوعية يحاولون تعريضها لحكم قاس وديكتاتورية صارمة تعتمد فى دعم سلطانها على الجاسوسية ، وتقوم على خنق الحريات ، وقد يدفع بعض الناس إلى ذلك ضيقهم بأحوال بلادهم ، ولكنهم فى مثل هذه الحالة يستجيرون من الرمضاء بالنار ، ولو أنهم علموا ما بالشيوعية من شر وهوان ، لو أنهم عاشوا فى جوها وعانوا تجربتها ، لملئت قلوبهم منها رعبا ونفورا . وأسطورة « إلغاء نظام الطبقات » التى تتغنى بها الشيوعية ، خرافة لم تحدث قط ، ولا يمكن أن تحدث فى يوم من الأيام ، لأنها مخالفة لطبائع الأشياء ، وما دامت الناس تتفاوت فى القدرات والملكات ، فكيف يمكن أن يسوى بينهم فى الأقدار والدرجات والطبقات ، فاختلاف الطبقات مسألة باقية ، ودورة خالدة ، وفى روسيا السوفييتية نفسها ، قد انمحت الطبقات ، لتأخذ فى الظهور طبقات أخرى جديدة ، وغاية ما يمكن الوصول إليه فى ظل أحسن النظم الاجتماعية هو تحسين علاقات الطبقات بعضها ببعض بدون تعريض المجتمع للرجات العنيفة والانقلابات المدمرة ، والبلاد التى قطعت مرحلة لا بأس بها فى هذا السبيل عن طريق الضرائب التصاعدية وضريبة الميراث ، قد أيأس تقارب الطبقات بها دعاة الشيوعية ..

وقد كتب مرة الزعيم الشيوعى لينين إلى مكسيم جوركى الأديب الروسى المشهور رسالة يقول فيها : «هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشىء ، وإنما الشىء الهام أن يصبح الربع الباقى منهم شيوعيين ! » ، ويعتقد الشيوعيون أنهم

---

(١) مقتبسة من كتاب حقيقة الشيوعية .

بعناصرتهم للشيوعية وترويجها وإذاعتها يساعدون فى تقريب الغاية البعيدة التى يتجه إليها التاريخ البشرى ، أو الحركة التاريخية العالمية الشاملة كما يسمونها ، ولا يخالجهم شك فى أن الشيوعية ستنتصر فى النهاية ، وأن انتصارها كالقضاء المحتوم لا يمكن دفعه ولا فائدة من مقاومته .

— ٢ —

وعند « هيجل » أن الفرد ليس حقيقة كالمجتمع ، وإنما هو « تعبير خاص » عن المجتمع ، وهيجل من أنصار النظرية القائلة : إن المجتمع وحده هو الموجود حقا ، وإن الأفراد ليسوا سوى تجريدات ، أو مختصرات من الكل الاجتماعى المعين ، ومرد هذه النظرية إلى النظرية القائلة بأن كل الأشياء الزائلة المحدودة ، بما فيها العقول البشرية ، قوام وجودها علاقاتها بسائر الأشياء . وأننا لا نعرف عن الأشياء سوى نظام علاقاتها بسائر الكون ، وخارج هذه العلاقات لا يمكن معرفة شىء .

— ٣ —

وفكرة المجتمع الشيوعى الخالى من الطبقات والقائم على المساواة المطلقة ، حلم قديم فى صورة جديدة ، وقوة الدعاية الشيوعية مستمدة من عاملين : العامل الأول تظاهرها بالصبغة العلمية ، وإضفاء ثوب الحقيقة الواقعة التى لا تقبل الجدل على تفسيرها المادى الاقتصادى للتاريخ ، والطنطنة به ، وعده كشفا عظيما . والواقع أن التفسير المادى للتاريخ أمر له أهميته ، ولكنه أحد التفسيرات الكثيرة وليس هو التفسير الوحيد ، فقد تكون عوامل التاريخ اقتصادية ، وقد تكون شيئا آخر غير الاقتصاد ، فالعامل الاقتصادى ، هو أحد العوامل الفعالة فى التاريخ ، ولكنه ليس هو العامل الفذ ، وقد اعترف انجلز صاحب كارل ماركس وزميله فى الجهاد ، فى رسالة كتبها إلى بلوخ فى سنة ١٨٩٠ - أى قبل وفاته بخمس سنوات - بأنه هو وماركس قد بالغا فى تقدير أهمية الأسباب الاقتصادية . وأكد مضمون هذه الرسالة لصاحبه

ستار كنبرج فقال : « ماركس وأنا مسئولان جزئيا عن حقيقة أنه في بعض الأوقات قد أعطى أتباعنا أهمية للعامل الاقتصادى أكثر مما يستحق ، ولقد اضطررنا إلى تأكيد صفته المركزية فى معارضتنا لخصومنا الذين كانوا ينكرونه، ولم يكن هناك وقت ولا مكان ولا فرصة لإنصاف العوامل الأخرى فى الحركة التاريخية» . ولكن برغم ذلك كان لهذه النظرية فى تفسير التاريخ تأثير ساحر .

والعامل الثانى من عوامل قوة الشيوعية ، الأمل الذى تبعثه فى نفوس أتباعها ، فالشيوعية ترحب بالجهاد والكفاح والثورة والدماء ، باعتبارها وسائل لازمة لغاية بهيجة مشرقة لامعة ، هى وجود عالم خال من الطبقات ، ليس فيه دين ولا قومية ولا شعوبية ولا ثروة تفاضل بين الناس ، عالم لا يعرف البؤس والشقاء ، ولا الفقر والحاجة . ولا الاستغلال والاستعباد ، وهى بذلك تعارض الفلسفات الأخرى اليائسة الحتمية التى فسر بها التاريخ بعض المفكرين المحدثين حين زعموا ان الحضارة الحديثة قد قدر لها الإخفاق والانهيار ، وأنها لا مفر من أن تلقى مصير الحضارات الزائلة المندثرة ، مثل الحضارة اليونانية والحضارة البائدة ، وأشهر ممثلى هذه النزعة ، المفكر الألمانى المعروف «شبنجلر» مؤلف كتاب « تدهور الغرب » ، وقد ظهر كتابه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد استخلص شبنجلر من دراسته لحضارات عدة سالفة ، قوانين نشوء الحضارات وسقوطها ، وأدوار الطفولة والشباب والكهولة التى تمر بها الحضارة ، وتكهن بسقوط الحضارة الغربية الذى ظهرت نذره ولاحت لوائحه فى نمو المدن الضخمة والأبنية الشاهقة والمجتمعات ذات اللون الواحد ، وفى نقص قوة الحيوية والابتكار فى الآثار الفنية والأدبية والفلسفية العلمية ، وفى ظهور النظم الديكتاتورية والنزعات القيصرية .. وقد وجد المؤرخ البحاثة توينبى صعوبة فى تجنب مثل هذه النتيجة التى انتهى إليها شبنجلر ، ويرى توينبى أنه من السهل على الأجيال المتأخرة أن تقدر دورات النمو والسقوط فى الحضارات السالفة ، ولكن من الصعوبة بمكان أن تقيس بدقة المرحلة التى بلغتها الحضارة الراهنة ، وهو يفسح مكانا لحرية العمل الإنسانى الذى قد

يستطيع منع سقوط الحضارة واستنقاذها من مخالب الفناء ، ويعلق أمله بالروح الدينية العامة .

— ٤ —

وبين الشيوعية والدين عداوة شديدة وحرب لاهوادة فيها ولا مهادنة، وهذا أمر طبيعى ، فإن الشيوعية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة تزعم أن كل مايقع فى التاريخ من حركات، فإن مرجعه إلى الأسباب الاقتصادية ولا مرجع له غيرها ، وما دامت الأسباب الاقتصادية ـ دون غيرها ـ هى التى تملى على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء ، فلا مجال هناك للاعتراف بإله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم بقدرة وإرادة .

والشعور الدينى عندنا وعند كل ذى دين فى الأرض ، هو إحساس طبيعى فى الإنسان يشعره بأن من فوقه قوة عليا توجهه وتسدده فى طريقه ، وتعصمه من اليأس فى ساعات الحرج والشدة ، وتمنحه العزيمة والقوة على اقتحام المصاعب ، وتمنعه من الاستسلام لنزعات الشر والسوء أو للشهوات والنزوات والمطامع الفردية ، وتربط البشر بعضهم إلى بعض بروابط تجمعهم على الأخوة الإنسانية المتعاونة من غير انتظار لجزاء مادى أو غير مادى يلقاه الإنسان على الأرض ، فهو إذا شعور مثالى لا يتم تمام الإنسانية إلا به ، ولا يتحقق السلام على الأرض بغيره .

ولكن الشيوعيين ومن قبلهم الماركسيون لايرون فى الدين هذا الرأى ، فليس الدين عندهم إلا تفسيرا خاطئا للظواهر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية ، ولونا من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ، فهو عندهم مظهر جهل ووسيلة استغلال وحيلة مخادع ، ومن واجب الشيوعيين أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده ويبرأوا من كل آثاره .

كذلك يقول الشيوعيون ويلقنون أتباعهم بصراحة مكشوفة وبلا مواربة .

وهذا الاختلاف فى أمر الدين بين الشيوعيين وغيرهم هو الحد الفاصل بين الشيوعية وغيرها من مذاهب الرأى أو من نظريات الحكم ، فالشيوعى الكامل عندهم هو الذى ينبذ دينه ويتبرأ منه ويقطع كل صلة تربطه به فى كل شأن من شئون حياته ، فى العمل وفى غير العمل ، وفى الزواج والطلاق ، وفى الأبوة والأخوة والأمومة ، وفى كل ماجل أوقل من علاقاته العامة وشئونه الخاصة ، وهم لا يكتفون من الشيوعى بأن يبرأ من الدين بقلبه ولسانه ، بل يريدونه أن يعمل ماوسعه الجهد لرد المؤمنين بالله عن دينهم ، ليكون الناس جميعا شيوعيين على دين ستالين ولينين وكارل ماركس ، لا على دين نبى من أنبياء الله ورسله . وقد كان من الجرائم العظمى بروسيا فى يوم من الأيام أن يضبط روسى متلبسا بجريمة الصلاة أو العبادة فى كنيسة أو مسجد . وقد هدمت المساجد والكنائس جميعا فى روسيا منذ سنين بعيدة ، وحول كثير منها إلى مصانع أو مخازن أو مسارح للهو أو زرائب للماشية ، وبقى قليل منها كتاحف تمثل عهد الرجعية الاستغلالية البائد .

ومسلم الأمس فى روسيا ، ومثله مسيحى الأمس ، لا يباح له أن يتخذ زوجة يرتبط إليها وترتبط إليه ارتباط الزوجين ، فى كل بلد من بلاد المسلمين أو من المسيحيين ، ليكونا أسرة ذات كيان وقومية صغرى ، وإنما هما رجل وامرأة كذكر الحيوان وأنثاه ، ليس بينهما إلا صلة الفراش المشترك حين يبدو لهما أن يشتركا فى فراش بعقد موقوت أو بغير عقد ، ثم يذهب الرجل إلى حيث شاء وكذلك تذهب المرأة ، فهى أنثى من إناث الدولة الشيوعية ، وهو رجل من رجالها ، وللدولة أبناؤهما وبناتهما جميعا ، ينتسبون إليها وحدها انتساب ولد الحيوان إلى جنسه لا إلى أبيه وأمه .

* * *

وكلمة « زوج » أو « زوجة » التى يعبر بها عن مثل هذه العلاقات الفاحشة بين الشيوعيين ونسائهم ، ليس لها إلا هذا المدلول فى دين الشيوعية .

— ٥ —

ويفيض فلاسفة الشيوعيين فى تبرير إنكارهم للدين ومحاربتهم له . فيزعمون أن الدين خرافة وجهل ، ويعللون انتشار الأديان بالظروف المادية التى عاش فيها الإنسان الأول . فيقولون : إن الإنسان الفطرى فى العهد البدائى كان يقف عاجزاً حائراً أمام الظواهر الطبيعية كالرعد والفيضانات وغيرها ، وكان جهله بأسباب تلك الظواهر يجعله يردها إلى إرادة عليا ، يسعى إلى كسب عطفها والتماس أسباب الزلفى إليها بتقديم القرابين واصطناع ألوان العبادات ، ومن ثم نشأ الإيمان بالقوى غير المنظورة ، وعبادة تلك القوى . ثم استفاضت تجارب الإنسان ، واتسعت آفاق معرفته ، وأنارت الكشوف العلمية بصيرته ولكن نظام الرأسمالية الجاثم على صدور الناس ظل يخضعهم لقوى أمضى سطوة من القوى المجهولة التى كان يخضع لها الإنسان البدائى ؛ فرأس المال يستطيع أن يسلط على الإنسان الفقر والبطالة ، ويعرضه للأزمات المالية المذلة والحاجة الملحة ، فيجد نفسه مضطرا إلى الاستعانة بالقوى غير المنظورة ، أى بقوة الله وهذا الإيمان يلائم الطبقة المستغلة ، إذ يصرف جموع الشعب عن الكفاح فى سبيل السعادة الدنيوية ويجعلها تتعلق بأوهام البعث ، ويغرى الدين الناس بأن يشتغلوا بالعبادة ويخضعوا للطبقة المستغلة ، ويتقبلوا النظام الرأسمالى على أنه نظام لا مفر منه وقضاء لا مرد له ، ومن شأن الطبقة البورجوازية أن تؤيد الروح الدينية لتضمن سيطرتها على الطبقة العاملة ، كما يشجع المستعمرون الأديان لتعيش جماهير الشعب فى البلاد المغلوبة على أمرها سادرة فى ظلمات الجهل والاستسلام . وهذا فى رأى الماركسيين سبب تعاون المستعمرين مع رجال الدين ممثلى الرجعية .

ولكارل ماركس كلمة مشهورة عن الأديان جرت فى أفواه الشيوعيين مجرى الحكم والأمثال ، وهى « أن الدين أفيون الفقراء ! » .

وللزعيم الشيوعى لينين كلمات مأثورة فى الحملة على الدين والحض على الالحاد وتسفيه المعتقدات الدينية . منها قوله : « الماركسية هى المادية ، وهى من ثم معادية للدين ! » .

وفى فلسفة الشيوعية أن ليس هناك حقيقة سوى المادة . ولكن هذه المادة ليست شيئا مجرداً ، وإنما هى تشمل الانسان وأعماله . ويتكون التاريخ من عمل الانسان فى المادة وتأثير المادة فى الانسان ، وبين الانسان والمادة تأثير متبادل ، فالمادة تغير من الانسان ، والانسان فى دوره يغير فى المادة لتلائم حاجاته وتقضى لباناته . وعلاقة الانسان بغيره أساسها الانتاج والاستهلاك ، وهو باعث الحركة الديالكتيكية التاريخية وصراع الطبقات ، وتقضى الحركة الديالكتيكية بأن يظل الصراع قائما بين الفقراء المستعبدين والأغنياء المستغلين ، حتى تحدث الثورة ويحطم العمال النظام الرأسمالى ويتحقق الفردوس الأرضى ، ولا مكان للروح فى مثل هذه الفلسفة ، وإنما يمتاز الانسان عن الحشرات والسائمة بقدوته الفنية ، وليست هناك حياة أخرى ولا عالم روحى ولا حرية ، لأن الانسان خاضع للضروريات المادية ، وأما الآداب والأخلاق نليس لها مصدر علوى ، وإنما هى وسيلة لحفظ المجتمع ومن أقوال لينين فى ذلك « علينا أن نكون مستعدين لكل لون من ألوان التضحية ، وإذ استلزم الأمر فإننا نمارس كل شىء ممكن ، فالحيل وفنون المكر وكل الأسباب غير الشرعية جميعها مباحة ، وكذلك السكوت وإخفاء الحق وموجز القول أننا نستخلص الآداب من مصالح حرب الطبقات ؟ »

ويقول أحد الشيوعيين فى تقديمه لكتاب لينين عن الدين : « الالحاد جزء طبيعى من الماركسية لاينفصل عنها . .

وفى برنامج المؤتمر السادس للدول الشيوعية الذى عقد فى سنة ١٩٢٨

ما يأتى : « الحرب ضد الدين — أفيون الشعوب — تشغل مكانا هامة بين أعمال الثورة الثقافية ويلزم ، أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة . وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ، ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين ، وتنظم التربية على أساس التصور المادى للدنيا » .

ويقول لينين فى فصل له عن « الاشتراكية والدين » : « الدين يعلم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم فى الفقر الاستسلام والصبر فى هذه الدنيا ، ويغريهم بالأمل فى المثوبة بالعالم الآخر » .

ويضرب لينين على هـــــذه النغمة فى فصل له آخر عن موقف حزب العمال من الدين فيقول : « قال ماركس إن الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا حجر الزاوية فى الفلسفة المـاركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات الحديثة جميعها ، والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينيـة . آلة لرد الفعل البورجوازى الذى يستهدف الاستغلال ضد مصالح الطبقة العاملة : »

وفى كتاب أرسله لينين إلى الكاتب الروسى الكبير ماكسيم جوركى يقول لينين : « إن البحث عن الله لا فائدة منه ، ومن العبث البحث عن شىء لم يخبأ ، وبدون أن نزرع لا نستطيع أن نحصد ، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق » .

فالشيوعية تعادى الأديان جميعها وتعدها دليل الرجعية والرغبة فى مقاومة النظام الشيوعى ، وهى تخالف مبادىء الاسلام الأساسية . لأن أساس العقيدة الاسلامية أن لا اله إلا الله محمد رسول الله وأنه خاتم النبيين ، واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد ، وكذلك الايمان بالحياة بعد الموت ، والجزاء والمثوبة والعقاب . وهذه المبادىء جميعها تنكرها الشيوعية وتشكك فيها وتحاربها .

ولقد لقى الشيوعيين عناء فى تحويل ولاء المسلمين الخاضعين للاتحاد السوفيتى

للإسلام إلى الولاء للشيوعيين . وقد اضطهدوا المسلمين لتعلقهم بالعقيدة الإسلامية واستمساكهم بها وإيثارها على الشيوعية .

وكان الشيوعيون فى بعض الأحيان يغيرون سياستهم تبعاً للظروف ، ويهادنون المسلمين ويلينون معهم حينما تقتضى السياسة الخارجية ادعاء العطف على المسلمين والتظاهر بمسالمة الإسلام ، فيكفون عن اضطهادهم ، ويظهرون لهم حسن النية والتسامح . فإذا استدعت الأحوال العدول عن تلك السياسة عادوا إلى مذهبهم الأصلى فى اضطهاد الأديان جميعا ، والعمل على إزالتها ومحوها...

وقد روى فريق من المسلمين اللاجئين من الاتحاد السوفيتى قصصا مثيرة عن حوادث التعذيب والتجويع والتقتيل التى عانوا منها الأمرين على أيدى السوفييت . وهم يقولون إن عدد مسلمى الاتحاد السوفيتى انخفض خلال الثلاثين سنة الماضية إلى النصف أو أكثر قليلا . فبعد أن كان عددهم ٤٥ مليونا هبط إلى ٢٢ مليونا ، ويرون أيضا أن السوفييت انتهكوا حرمة المساجد ، وأعدموا مئات الألوف من المسلمين ، وأرسلوا آخرين إلى معسكرات الاعتقال فى سيبريا للقضاء على الاسلام فى الاتحاد السوفيتى .. وقد قال أحد هؤلاء اللاجئين أن والديه توفيا من الجوع والبرد والمرض فى عام ١٩٣١ ، وأنه هو لاذ بالفرار وشق طريقه عائدا إلى بلدته فى التركستان . ولكن الشيوعيين ما لبثوا أن قاموا بحملة أخرى من حملاتهم التى تقوم على أساس « لا صلاة ولا قرآن ولا أعياد » وحولوا المساجد إلى اصطبلات ومراقص ، أو هدموها ، وطلبوا من جميع المسلمين توقيع ورقة كتب عليها « لا إله ، ولا دين ، ولا أى شىء غير ستالين » ، وكل من رفض التوقيع اختفى ولم يسمع عنه شىء ! والواقع أن معاملة المسلمين فى روسيا تخضع لعاملين : العامل الأول الأسس الفكرية للنظام الشيوعى التى تنكر الدين بوجه عام ، وتراه عقبة فى طريق تقدم البشرية ، والعامل الثانى الخطط السياسية التى تضعها

الحكومة . وهى تحاول أن تستأثر بأفكار أتباعها وعواطفهم ولا تطيق أن ترى منافسا لها فى ذلك ، والشيوعية فى جوهرها عقيدة أرضية أو دين مخترع ، إن صح هذا التعبير ، فليس من المستغرب محاولتها القضاء على العقائد الواقفة فى سبيلها . سواء كانت عقائد سماوية أو عقائد أرضية مثلها . . ويعمل ساسة الكرملين لتحقيق أهدافهم ، وهم يغيرون سياستهم من الحين إلى الحين لتلائم الأحوال العالمية ، فهم يغضون الطرف عن المسلمين ويكفون عن اضطهادهم حينما تستلزم خطتهم السياسية هذا التساهل . فإذا ما تغيرت الظروف وشعروا بعدم الحاجة إلى هذا الإغضاء وذلك التغافل ، عادوا إلى خطتهم الأصلية فى مقاومة الأديان عامة والدين الاسلامى بوجه خاص . وحرية الاعتقاد بوجه عام لا تقرها الشيوعية .

— ٦ —

ومع وضوح رأى الشيوعية فى الدين ، وإنكارها العلنى له ، تزعم الدعاية الشيوعية أن فى روسيا حرية دينية ، وإنه لباطل مفضوح لا يسيغه عاقل ولا مجنون . .

لقد وزعت السفارة السوفيتية فى إحدى العواصم العربية أخيرا ، كتابا باللغة العربية عنوانه «حرية الدين فى الاتحاد السوفيتى» أرادت به تبرئة الحكومة السوفيتية من اضطهادها للدين وأصحابه . . . وقد جاء كل ما فيه أدلة اتهام ، لا أدلة براءة .

ورد بالكتاب فى الفصل الأول تحت عنوان «الدين فى روسيا قبل الثورة» ما نصه :

«فى زمن الثورة الأولى فى روسيا ، كتب لينين : يجب ألا تشغل الدولية بالدين ، ويجب ألا تكون للجمعيات الدينية أية صلات بسلطة الدولة . . إن كل فرد حر تماما فى اعتناق أى دين يرتضيه ، أو فى عدم الإيمان بأى دين على الإطلاق . ولا يمكن التسامح بشأن أى تمييز بين المواطنين فى حقوقهم على

أساس معتقداتهم الدينية ، ويجب أن تحذف أية إشارة إلى معتقدات المواطنين من جميع الوثائق الرسمية بلا قيد أو شرط ، ويجب ألا تقدم أية منحة حكومية للكنيسة والجمعيات الدينية ، التي يجب أن تصبح هيئات حرة كلية ومستقلة تماما عن الدولة » .

ويلي هذا باب بعنوان : تشريعات الدولة السوفيتية بشأن الدين ، ورد به:

قضت ثورة اكتوبر الإشتراكية الكبرى على العلاقات القديمة بين الكنيسة والدولة ، فأصدرت الحكومة السوفييتية فى ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ مرسوما سوى مسألة حرية الدين وموقف الدولة السوفيتية تجاه الدين والجمعيات الدينية ، وقد أعلن هذا المرسوم التاريخى مايلى :

١ — الكنيسة منفصلة عن الدولة .

٢ — محظور إصدار أية قوانين محلية أو لوائح فى أراضى الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير ، أو إيجاد أية امتيازات أو ميزات على أساس معتقدات المواطنين الدينية .

٣ — كل مواطن له أن يعتنق أى دين ، أو لا يعتنق أى دين على الإطلاق

٤ — لن تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية فى أى عمل من أعمال الدولة أو فى أى احتفال رسمى عام أو اجتماعى .

٥ — حرية القيام بالطقوس الدينية مكفولة إلى الحد الذى لا تؤدى إلى اضطراب النظام العام ، إذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فى الجمهورية السوفيتية .. وللسلطات المحلية الحق فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة فى هذه الأغراض لضمان المحافظة على النظام العام والأمن .

٦ — لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كعذر للتنصل من واجباته المدنية .

٧ — يلغى كل قسم أو عهد دينى ، وفى الأحوال الضرورية يكتفى فقط بالوعد الصادق .

٨ — تقوم السلطات المدنية - وحدها - بجميع أعمال التسجيل المدنى عن طريق مكاتب تسجيل الزواج ، والميلاد .

٩ — المدرسة مفصولة عن الكنيسة ، والتعليم الدينى محظور فى جميع المدارس العامة ، والخاصة ، ويتعلم المواطنون الدين على انفراد .

(٦)

ويجب أن نوجه النظر إلى البند الخامس الذى يزعم أنه يبيح القيام بالطقوس الدينية ، ويشترط لهذه الإباحة أن تكون « إلى الحد الذى لا تؤدى فيه إلى اضطراب النظام العام » ، فمعنى هذا أن صوت المؤذن أو رع النواقيس من الممكن أن يعتبر مخلا بالنظام العام ، فيترتب عليه منع الطقوس الدينية ، وهذا هو الحاصل فعلا .

والبند السادس الذى يقول : « لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كعذر للتنصل من واجباته المدنية ، أليس أبسط نتائجه أن المسيحى ممنوع من الذهاب إلى الكنيسة فى أثناء العمل ، وأن المسلم غير مسموح له بصلاة الجمعة مثلا ، خلال ساعات العمل ؟

والبند السابع الذى يلغى القسم الدينى ، الذى أملاه على المشرعين البلاشفة إنكارهم لله ، وبغضهم لاسمه .

وكذلك البند الثامن الذى يجعل تسجيل الزواج والميلاد من شأن المكاتب المدنية ، وحدها ، لإبعاد شبح الشرائع السماوية من علاقات المجتمع بعضه ببعض . وإذا قام الزواج على غير مارسمت الشرائع الدينية وكان مجرد صفقة مدنية ، فهل يكون زواجا أو هو مجرد اتفاق على مشاركة فى الفراش ؟

وأخيرا ، نجد أمامنا البند التاسع الذى يفصل المدرسة عن الكنيسة ويمنع تعليم الدين فى المدارس العامة ، والخاصة ، ويبيحه « على انفراد » .

خاتمة الكتاب

(١)

من هذه الفصول التى سلفت يتضح بجلاء جلال الإسلام وعظمته وخلوده ، وسمو مبادئه وتشريعاته وأحكامه .. وأنه دين إنسانى متحضر يصلح لقيادة البشرية ، ولتوجيه الشعوب والأمم فى عصرنا الراهن ، وجهة الخير والحق والقوة والتقدم والنهضة .

ومنها يتضح كذلك موقف الإسلام من الشيوعية وموقف الشيوعية من الإسلام ، بجلاء ووضوح تامين .

(٢)

وإن من الغبن والجور على الحقيقة أن يؤمن بعض شبابنا بمبادىء متطرفة بعيدة عنا ، تفرض علينا السيطرة الأجنبية والتبعية الاستعمارية ، وتحاول أن تهدم ماضينا وحاضرنا ، وتتصرف فى مستقبلنا تصرفا ينافى روحنا وتقاليدنا وقوميتنا وعقائدنا الموروثة . .

ومن الظلم لأمجادنا وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا أن تحاول بعض الحكومات العربية فرض الشيوعية فرضا على بلادها ، وأن تحارب روح العروبة المتغلغلة فى نفوس شعبها العربى منذ القدم ، وأن تعزل نفسها عن الشعب العربى المؤمن بقوميته وتراثه وماضيه وحاضره ، بل أن تعزل نفسها عن شعبها العربى الأبى الحر . .

(٣)

إننا نؤمن بأنه لامكان للشيوعية فى البلاد العربية خاصة والإسلامية عامة ، ونوقن أن المستقبل القريب سيكون فى صالح الإسلام والعروبة والقومية العربية وحدها بإذن الله . .

وعلى الشباب الإسلامى والعربى أن يجعل عقيدته دائماً فى قلبه ، ليحارب بها المذاهب البعيدة عنا ، الوافدة علينا ، التى تحاول جاهدة أن تضم بلادنا إلى مناطق النفوذ ، وأن تفرض علينا التبعية ، وأن تغرينا باسم محاربة الفقر ، لتجبرنا على الرضاء باستعمار من لون جديد .

(٤)

ونحن بنشرنا لهذه الفصول ، إنما نؤدى الأمانة التى فى أعناقنا لله ولرسوله ولدينه وللشعوب الإسلامية والعربية ، التى نرجو لها القوة والمجد والازدهار فى ظل دينها وقوميتها ، وفى ظل الرسالة العظيمة التى تؤمن بها .

وما توفيقنا إلا بالله ؟

المؤلفان

تفسير القرآن الحكيم

أحدث التفاسير ، وأجمعها للفكرة الإسلامية .
ولفهم العصر الحاضر لكتاب الله

يقع فى ثلاثين جزءاً . . ظهر منه عشرة أجزاء
وباقيه يصدر تباعا

تأليف الأستاذ الكبير

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ بالأزهر الشريف

يطلب من

مؤسسة المطبوعات الحديثة والمكتبة التجارية والمكتبات المشهورة ومن إدارة مجلة الإسلام بشارع القلعة (محمد على سابقاً) ومن دار العهد الجديد بشارع الجيش الرملى رقم ٢ بالقاهرة

فهرست الكتاب

يطلب الكتاب
من إدارة مجلة الإسلام بشارع محمد على بالقاهرة
ومن سائر المكتبات بالجمهورية العربية المتحدة

دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح - ت : ٥٠٨٥٢